

عن
الخبر والميسر في السباق

والوحدة الاسلامية

بمقام
محمد المبارك عبد الله

المجلس الاعلى للثئون الدينية والاقاف
جمهورية السودان الديمقراطية
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

في هذا الكتاب

الصفحة

الموضوع

١	المقدمة
١	الخمر معناها في اللغة
٢	معناها شرعا ، والخلاف في ذلك
٢	البيرة في البلاد الاسلامية
٤	ثمرة الخلاف في معنى الخمر
٦	الخلاف في تحريم القليل الذي لا يسكر
٨	تحقيق مذهب الحنفية فيما تقل فيه نسبة الكحول
١٠	التدرج في تحريم الخمر وحكمته
١٣	ترتيب نزول الآيات ودخلها في التدرج
١٣	روايات وقصص تفسر آية : ليس على الذين آمنوا
١٧	للمحاربة في الحدود ولكنها لا تقام في دار الحرب
١٨	أضرار الخمر الدينية والصحية والاجتماعية
١٨	آراء العلماء والأطباء في ذلك قديما وحديثا
٢١	بين حمزة وعلى من جرّاء الخمر قبل التحريم
٢٢	تشديد النكير في السنة على الشارب
٢٣	الاجماع على عقوبة الشارب والخلاف في المقدار والنوع
	اسباب ولع الناس بالخمر مع ما فيها من المضار
٢٦	منافع الخمر في الجاهلية أوهاام ومضار
٢٧	التداوى بالخمر واختلاف الفقهاء والاطباء فيه
٢٩	امريكا وتحريم الخمر ، والدعوة الاسلامية وأثرها
٣١	المخدرات

في هذا الكتاب

الموضوع	الصفحة
نجاسة الخمر ، وكلمة الرجس في القرآن الكريم	٣٢
حكم الخمر اذا تخللت وحكم مايدخل فيه الكحول	٣٣
الخمر عند أهل الكتاب	٣٤
الشرعية الاسلامية أحكامها وحكمها لسعادة البشر	٣٥
الضروريات وعقوبة الشارب ، وحدهى أم تعزير ؟	٣٦
يتم تثبيت هذه الجريمة ؟	٣٨
شروط توقيعها	٣٩
الحاجيات	٣٩
التحسينيات	٤٠
الحدود وحكمتها وأهميتها فى الاسلام	٤٢
الميسر أو القمار ومفاسده	٤٦
الصديق يراهن قبل التحريم فيمهد الرسول للتحريم.	٤٨
من الميسر اليانصيب	٤٩
الأنصاب	٥١
الأزلام والاستقسام بها	٥٢
مسئلة وأجوبة عما يشبه الاستقسام بالأزلام	٥٣
خرافة شياطين الشعراء	٥٤
قرآن يسخر من تتزل الشياطين ومن يصغون اليهم	٥٥
لأحجية ورأى الدين فيها	٥٦
طريقة ميسر اليانصيب الحديثة	٥٩
أثر الاسلام فى ابطال الخرافة والالوهام	٦١

٦٤	تعريف الاسلام بالكتاب والسنة
٦٦	السياق
٦٦	شروط المسابقة المباحة
٦٧	الرسول يسابق فيسبق ويسبق
٦٨	ويقر المبارزة ، ويفسر آية القوة
٧٠	الدريى حكمه وأضراره
٧١	تفسير آية عامة فى النهى عن أكل أموال الناس بالباطل
٧٣	الرشوة
٧٤	استحلال أكل أموال الناس بحكم الحكام
٧٤	حكم الحاكم يرفع الخلاف ولا يحمل حراما
٧٧	الدعوة الى الوحدة الاسلامية فى الكتاب والسنة
٧٩	جمال الدين ومحمد عبده يبحثان أسباب ضعف المسلمين ووسائل نهضتهم
٨٠	الامام الشافعى وتعلم اللغة العربية
٨١	ابن مطاطية يحاول الفتنة باختلاف الجنس
٨٢	الرسول يبطل كيدہ : من تكلم العربية فهو عربى
٨٢	الامامان جمال الدين وعبدہ وصلاح الأمة بما صلح به أولها
٨٣	ختام

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على امام الهداة وقادة المصلحين ، سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين ، وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم في الاهتداء بهديه والاستئنان بسنته الى يوم الدين .

وبعد فهذه رساله وجيزة في الحديث عن الخمر والميسر ، والانصاف والازلام والسباق أبعث (١) بها الى مواطني ومن تبلغه من المسلمين ، تذكيرا بجرمة ما علم تحريمه من الدين بالضرورة من ذلك كالخمر والميسر ، والانصاف والازلام وتنبها الى ما هو من قبيلها وما يلحق بها من المخدرات ، واليانصيب ، وسباق الخيل المعروف الان ، وأكل أموال الناس بالباطل بعامه ، وطلب معرفة الغيب الذي أستاثر الله بعلمه بفتح الكتاب أو ضرب الرمل أو قراءة الكف أو الفنجان (٢) أو غيرها من الطرق الوهمية التي تظاهر على تقييحها والتنفير منها العقل والعلم والدين .

ولا تزال مع الأسف الشديد تنتشر بصور متعددة ، وتنشئ في أثواب مختلفة ، ويستشري شرها ، ويتفاقم ضررها ، ويتعاطم البلاء بها فيعم الشباب الغاوين ، والكهول الغافلين ، رغم صيحات الدعاة والمرشدين ونذر العقاب المهين ، وإلى الله المشتكى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

« الخمر »

معناها في اللغة والشرع

معناها لغة :

الخمر لغة يذكر ويؤنث والخمرة بالناء إسم لكل شراب مسكر منقول من مصدر خمر الشيء بمعنى ستره وغطاه ، أو من خامره الشيء بمعنى خالطه ، يقال : خامره الداء إذا خالطه : أو من مصدر خمر الشيء إذا تغير عما كان عليه . أو من مصدر خمر العجين ونحوه فاخمر إذا بلغ وقت ادراكه .

(١) كنت قد كتبت أصل الطبعة الأولى بالقاهرة وأرسلته إلى السودان للطبع فظهر في الطبعة الأولى أخطاء كثيرة مطبعية تداركتها فيما بعد بتصويب طويل .

(٢) اناء منخري من الفخار وغيره مغرب (بنكان بالفارسية) .

قال ابن عبد البر : ان جميع هذه المعاني ظاهرة في هذه الاشربة كلها اى الحاصلة بالتخمير ، وأما المقطرة فيناسبها مخامرة العقل — فيصح اطلاق اسم الخمر لغة على كل مسكر .

وهذا ما ذهب اليه أشهر علماء اللغة كالجوهري وأبى نصر القشيري وأبى حنيفة الدينوري وصاحب القاموس وغيرهم ، فهي تسمية شرعية ولغوية عندهم .
معناها شرعا :

وذهب الكوفيون ، وبعض علماء اللغة كصاحب كتاب العين ، وتبعه ابن سيده في المخصص الى أن الخمر ما أسكر من عصير العنب .

على ان ابن سيده بعد ان نقل من صاحب العين التخصيص بما يتخذ من عصير العنب عاد فنقل عن أبى حنيفة الدينوري اطلاقها على جميع الاشربة المسكرة . فقال : قال ابوحنيفة : فأما خمور الجبوب فما اتخذ من الحنطة فهو المنذر ، وما اتخذ من الشعير فهو البجعة (١) وفي حديث ابى داود والنسائي وغيرهما عن على كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم عن البجعة .

البيرة في البلاد الاسلامية

ومن المؤسف حقا انها تباع الان علنا في أسواق كثير من البلاد الاسلامية مع الكوكا كولا والبيبسي كولا والمياه الغازية ، وما اتخذ (٢) من الذرة السكرية والسفرقة عجمي وحجة هؤلاء الذين خصوا الخمر بالمسكر من ماء العنب ما رواه النسائي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حرمت الخمر قليلها وكثيرها ، والمسكر من كل شراب فعطف المسكر من كل شراب على الخمر دليل على انها تغايره ، وما رواه البخاري عن عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لقد حرمت الخمر وما بالمدينة منها شئ مع أنه كان بالمدينة أشربة من نبيذ البسر والتمر (٣) فهذا دليل على أنها لا تتناولها . والارجح التحميم ، لأن الصحابة وهم من صميم العرب فهموا من تحريم الخمر تحريم كل مسكر ، ولم يشترط بين ما كان من العنب وما كان من غيره .

(١) ومن الحنطة ايضا قال فى مادقوجع من اللسان : ذكر الجوهري فى هذه التسمية البجعة — يعنى انها من معتل القباية وقال ابن برى : البجعة لا بها واو من جموت أى جمعت كأنها سميت بذلك لأنها تجمو الناس على شربها أى يجمعهم وذكرها الأزهري وصاحب اللسان نفسه فى مادة جما معتل اللام ترجيحاً لهذا ، ويعرف الآن باسم (البيرة) كلمة إيطالية ، وفتح الجيم أكثر من كسرهما .

(٢) ويعرف فى السودان باسم (المريسة) وفى مصر باسم (البوظة) .

(٣) ويعرف فى السودان باسم (الدكاى) والبسر التمر اذا قلون ولم ينضج بعد .

والآثار الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى منها ما أخرجه أبو داود : نزل تحريم الخمر يوم نزل وهو من خمسة : العنب والتمر (١) والحنطة والشعير والذرة ، والخمر ما خامر العقل ، والأحاديث الصحيحة صريحة في ذلك ، منها حديث الصحيحين وأبي داود والترمذي والنسائي كل مسكر خمر وروى بزيادة : وكل خمر حرام . وروى البخاري في صحيحه عن ابن عمر أنه قال : نزل تحريم الخمر وان^١ بالمدينة يومئذ خمسة أشربة ، ما فيها من شراب العنب شيء ، .

وروى احمد والبخاري ومسلم في صحيحهما عن أنس قال : كنت أسقى أبا عبيدة ابن الجراح وابي بن كعب وسهيل بن بيضاء ونفرا من أصحابه عند أبي طلحة (٢) حتى كاد الشراب يأخذ منهم فأتى آت من المسلمين فقال : اما شعرتم ان الخمر قد حرمت ؟ فقالوا حتى ننظر ونسأل — فقالوا يا أنس اسكب ما بقي في انائك ، فوالله ما عادوا فيها ، وما هي الا التمر والبسر وهي خمرهم يومئذ هذا لفظ احمد . وزاد أنس في رواية اخرى ايا دجاجة ومعاذ بن جبل في رهط من الانصار ، .

وفي رواية الصحيحين انه كان يسقيهم الفضيخ ، وهو شراب البسر والتمر يفضخان اى يشدخان وينبذان في الماء فاذا اشتد واختمر كان خمرا ، وكان هذا أكثر خمر المدينة كما صرح به انس ، وفي رواية لمسلم عنه : كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة ، وما شرابهم الا الفضيخ البسر والتمر فاذا مناد ينادى ، فقال اخرج فانظر ، فخرجت فاذا مناد ينادى : الا ان الخمر قد حرمت قال فجرت في سكك المدينة فقال أبو طلحة : أخرج فاهرقها ، فاهرقها الحديث .

قال القرطبي : الأحاديث الواردة عن أنس وغيره على صحتها وكثرتها تبطل مذهب الكوفيين القائلين بان الخمر لا يكون الا من العنب ، وما كان من غيره لا يسمى خمرا ولا يتناوله اسم الخمر فهو قول مخالف للغة العربية ، وللسنة الصحيحة والصحابة ، لأنهم لما نزل تحريم الخمر فهموا من الامر بالاجتناب تحريم كل ما يسكر . ولم يفرقوا بين ما

(١) يقول الحكمي : لنا خمر وليست خمر كرم ولكن من نتاج الباسقات كرام في السماء ذهب طولاً وفات ثمارها أيلى الجنة

(٢) هو زوج أم أنس رضى الله عنهم .

(٣) الشلخ الكمر .

يتخذ من العنب وبين ما يتخذ من غيره بل سوا بينهما ، وحرّموا كل ما يسكر نوعه ، ولم يتوقفوا ولم يستفصلوا ، ولم يشكل عليهم من ذلك شيء بل بادروا الى اتلاف ما كان من غير عصير العنب ، وهم من أهل اللسان ، وبلغتهم نزل القرآن فلو كان عندهم تردد لتوقفوا عن الازاقة حتى يستفصلوا ويتحققوا التحريم .

وقد أخرج الامام أحمد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من الخنطة خمر ، ومن الشعير خمر ، ومن التمر خمر ، ومن الزبيب خمر ، ومن العسل خمر .

وروى أيضا في الصحيحين وغيرهما انه خطب عمر على المنبر وقال : الا ان الخمر قد حرمت وهي من خمسة : العنب والتمر والعسل والخنطة والشعير ، والخمر ما خامر العقل وعمر من أهل اللغة هـ .

وتوسط بعض المحققين في هذا الخلاف فقال : ان الخمر حقيقة في لغة العرب في التي من ماء العنب اذا صار مسكرا ، واذا استعمل في غيره كان مجازا الا ان الشارع جعله حقيقة في كل مسكر شابه معناه اللغوي ، فهو في ذلك حقيقة شرعية ، كالصلاة والصوم والزكاة في معانيها المعروفة شرعا .

والحق ما قدمنا من اتحاد المعنى لغة وشرعا ، وما استدلل به مما رواه البخارى عن ابن عمر : لقد حرمت الخمر وما بالمدينة منها شيء مع وجود المسكر من التمر والبسر مؤول حتى لا يتعارض مع ما روى عنه وعن ابيه رضي الله عنهما فيما تقدم .

ثمرة الخلاف

وهذا الخلاف بين علماء اللغة لا يترتب عليه أى خلاف بين الفقهاء في أن كل مقدار يفضى شربه الى السكر من جميع المسكرات فهو حرام ، وكل ما يترتب عليه هل هو جميعه حرام بالنص أو بعضه حرام بالنص ، وهو المسكر من عصير العنب بعضه حرام بالقياس عليه ، وهو المسكر من غيره لوجود علة التحريم فيه وهي الاسكار؟ وأن مستحل القليل الذى لا يسكر المتخذ من غير عصير العنب لا يكفر عند من قال انه لا يسمى خمرا ، واما المستحل للكثير أو القليل المتخذ من عصير العنب فيكفر بالاجماع فهذه هي ثمرة الخلاف .

ومثل هذه الأنواع التي وردت في الأحاديث والآثار ما اتخذ من البصل والتفاح
فيهم ما باى كيفية من الكيفيات ففي صحيح البخارى أن ابن عباس سئل عن الباذق (١)
شراب استحدث أيام بنى أمية - وهو من أهل اللغة - فقال سبق محمد صلى الله عليه وسلم
الباذق فما اسكر فهو حرام .

اقول: وبهذا الذى أوتى من جوا مع الكلم سبق صلى الله عليه وسلم ما اتخذ وما يتخذ
من غيره من سائر المسكرات والمفترات مطبوخة ومقطرة وسائلة وجامدة .

(١) بكسر الهمزة وفتحها ما طبخ من عصير العنب أدنى طبخة فصار شديدا يسكر ، قال ابن الأثير : تعريب باذه
بالفارسية ، وهو اسم الخمر عندهم . وقد كثرت أنواع المسكرات الآن واسماؤها كالشمانيا والجن والعرقى
والشرى والروم والويسكى وكثير غير ذلك ما هو أشد فتكا بالعقول والأبدان .

اختلاف العلماء فى تحريم القليل الذى لا يسكر

غير أنهم أجمعوا على تحريم القليل والكثير من عصير العنب ، وعلى وجوب الحد بشربه ، واختلفوا فى القليل الذى لا يسكر مما يتخذ من غيره بعد اجماعهم على أن القدر المسكر حرام من كل الانبذة .

فقال جمهور فقهاء الحجاز وجمهور المحدثين : كثير الانبذة المسكر وقليلها وان لم يسكر حرام ، وفى شربه الحد فالخمر عندهم ومنهم الأئمة الثلاثة مالك والشافعى وأحمد : هى كل مامن شأنه أن يسكر من جميع المشروبات سواء فى ذلك المتخذ من العنب أو التمر أو العسل أو القمح أو الشعير أو غيرها . وقال فقهاء العراق منهم ابراهيم النخعى من التابعين ، وسفيان الثورى وابن ابى ليلى ، وشريك وابن شبرمة وأبو حنيفة وسائر فقهاء الكوفة واكثر علماء البصرة : ان المحرم من الانبذة المسكرة ماعدا المتخذ من عصير العنب هو السكر نفسه ، لا العين ولا حد على من لم يعتمد السكر منه ، والخمر عند الامام أبى حنيفة هى النبیء من ماء العنب اذا غلى واشتد وقذف بالزبد ثم سکن وصفا وصار مسكرا ، ولم يشترط صاحباه القيدین الأخيرین ، وبالعالم الامام أبو حنيفة رضى الله عنه فقد احوال القدر الذى لا يسكر من النبيذ من شرائط مذهب أهل السنة والجماعة ، فقال فى بيانها : أن يفضل الشيخين (١) ويحب الخنتين ، وأن يرى المسح على الخفين ، والا يحرم نبيذ (٢) الخمر .

ويظهر أن الامام أبا حنيفة كان يأخذ فى هذا برأى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقد روى أنه كان يرى حل النبيذ ، وقد تبع ابن مسعود فى ذلك عامة التابعين من الكوفيين حتى قال شاعرهم :

من ذا يحرم ماء المزن خالطه . فى جوف خابية ماء العناقيد
انى لاكره تشديد الرواة لنا . قيه ويعجبني قول ابن مسعود
الفسقة والمستهترون والشعراء واستغلال الخلاف .

ولما كان كثير من فقهاء العراق يرى حل النبيذ فقد اشتهر العراقيون بذلك كما ---
اشتهر الحجازيون بحل السماع ، واصبح

(١) الشيخان ابوبكر وعمر ، والخندان عثمان وعلى ، لأنهما صهرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واخنت الصهر ويقال على كل من كان من قبل المرأة كأيها أو أخيها .

(٢) ولا تظن انها القارئ الفاضل أن النبيذ الذى يستحلون شربه هو النبيذ المعروف الآن فهذا مجمع على تحريمه لأنه يسكر ، وانما هو النعوق كما يصنع فى السودان للاطفال والخشاف الذى يصنع للافطار فى رمضان وفى غير مواسم الحسوة ، والشربوت كل ذلك قبل أن يحمض ويشتد فيسكر . وصفوة القول أن ما يلقى فى الماء أو فى الأثناء ويصب عليه الماء ليلى به من تين أو زبيب أو تمر أو غير ذلك حلال ما لم يخمثر فاذا اختمر حرم لأنه يسكر حينئذ سمي نبيذا ، لان صناعه ينبدى أى يلقى به فى الماء .

المستهترون من الشعراء والادباء يسفسطون بذلك ويتطرفون به : قال بعضهم اباح أهل -
الحرمين الغناء وحرموا النبيذ ، وأباح أهل العراق النبيذ وحرموا الفناء ، فأتاحوا لنا الفرصة
وهيثوا لنا باختلافهم على ذلك الرخصة الى أن يقع الاتفاق ! ! وقال بعضهم :

اباح العراقي النبيذ وشربه وقال حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد فحلت لنا من بين قوليهما الخمر
سأخذ من قوليهما طرفيهما وأشربها لا فارق الوازر الوزر

سبب الخلاف

وسبب اختلافهم فى هذا تعارض الآثار التى ظاهرها تعلق الحرمة بالعين لا بالسكر
مع القياس المبني على أن القرآن نص على أن علة التحريم فى الخمر انما هى ايقاع -
العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهى لا توجد الا فى القدر المسكر الذى
يستر العقل لا فيما دونه فوجب أن يكون ذلك القدر هو الحرام الا ما انعقد الاجماع على
تحريم قليله وكثيره ، وهو المسكر من عصير العنب .

أدلة الحجازيين

واستدل جمهور فقهاء الحجاز والمحدثون بما رواه احمد وابن ماجه والدارقطنى
وصححه عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : ما أسكر كثيره فقليله
حرام ، ومارواه احمد واثرمذى وقال : حديث حسن عن عائشة رضى الله عنها قالت قال :
رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مسكر حرام ، وما أسكر الفرق (١) منه فملاء .
الكف منه حرام ، وفى رواية فالحسوة (٢) منه حرام ، وما رواه النسائى والدارقطنى عن سعد
ابن ابى وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره
وفى رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قليل ما أسكر كثيره .

قال الحافظ النسائى بعد رواية حديث سعد وما فى معناه : وفى هذا دليل على تحريم
المسكر قليله وكثيره ، وليس كما يقول المخادعون لأنفسهم بتحريمهم آخر الشربة وتحليلهم
ماتقدمها الذى يشرب فى الفرق قبلها ، ولا خلاف بين أهل العلم أن السكر بكليته لا يحدث
عن الشربة الآخرة دون الاولى والثانية بعدها ، وبالله للتوفيق أى أن السكر يكون من ،
مجموع ما يشرب لا من الشربة التى تعقبها النشوة .

(١) الفرق ويمرك أو التحريك أنصح . مكيال كان بالمدينة يسع ستة عشر مدا أو أربعة أرباع .

(٢) الحسوة المرة من حسا المرق اذا شربه شيئا فشينا وحسا الطائر الماء اخذه بمنقاره وهو مثل فى القلة ومنه يقال :
يوم كحسو الطير أى قصير ، ومنه (الحسوة) من أفرية السودان .

حكم بين الفريقين وما يرجحه الطب

قال بعض المحققين من المتأخرين يبدو أن حجة الحجازيين من طريق السمع أقوى حجة العراقيين من طريق النظر والقياس أظهر .

وأقول : ان تجارب الاطباء الآن في مختلف أنواع الخمور تؤيد مذهب الحجازيين ، فان مصدر الضرر المشترك بين سائر الخمور هو ما تشتمل عليه من مادة (الكحول) الذي سماه القرآن الفول ومدح خمر الجنة التي بشر بها المؤمنين بسلامتها منه ، فقال تعالى : يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غول ولا هم عنها يتزفون (١) الايات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ من سورة الصافات وهو ما يهلك الانسان من حيث لا يحس به يقال غاله يغوله غولا ، واغتاله يغتاله اذا اغتالا اذا أهلكه من حيث لا يدري ، وهذه المادة السامة الفتاكة لا شك أن القليل منها يؤثر كما أن الكثير منها يؤثر بنسبته (٢) ولا تخلو من الاضرار بحال من الاحوال .

تحقيق مذهب الحنفية فيما تقل فيه نسبة الكحول

وتحقيق مذهب الحنفية الذي يتدرج به بعض من لا اخلاق لهم الى استحلال شرب (البيره) ونحوها مما تقل فيه نسبة الكحول هو ما جاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة : يظن بعض شاربي (البيره) ونحوها أن قليلها حلال في مذهب الحنفية ، والواقع أن قليلها وكثيرها حرام في مذهب الحنفية كسائر المذاهب على الصحيح المتيقن به بل هي حرام عند الحنفية باجماع آرائهم ، وذلك لأن الخلاف وقع في ثلاثة أمور : المثلث وهو ما يطبخ من العنب حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ويسكر كثيره لا قليله ويسمى طلاء ، ثانيا نبيذ التمر وهو ما يطبخ طبخا يسيرا ويسكر كثيره لا قليله ، ثالثا ما يؤخذ من الشعير والحنطة ونحوهما مما ذكر اذا أسكر كثيره لا قليله ، فأبو حنيفة وأبو يوسف يقولان : ان الذي يحرم هو كثير هذا لا قليله ، ومحمد يقول : ان كثير هذا وقليله حرام كغيره .

(١) المعين الماء الجاري جريا سهلا ، والمراد من نهر طيب خالص من الشوائب والأكدار والنزف اذهاب الشيء بالتدريج : يقال نزف ماء الثمر اذا نزحه شيئا فشيئا ، فكأن شارب الخمر في الدنيا انا للعقل ينزح منه العقل ويسلب بسببها مما تنزه خمر الآخرة أن تكون سببا فيه أو ينشأ عنها قرئ في القرآن بالبناء للمجهول وبالبناء للفاعل من نزف ونزف والمراد في جميع ذلك نفى السكر عن خمر الجنة .

(٢) فلا يقال : ان البيره حلال ، لان نسبة الكحول في الكأس منها تراوح بين ٣ - ٨ ٪ ، وليست كالويسكي الذي نسبة الكحول في الكأس منه ٥٠ ٪ ولا كالشرى والشمبانيا اللذين نسبة الكحول في الكأس من كل منهما ٢٠ ٪ .

وقول الائمة الثلاثة وقول محمد هو الصحيح المفتى به فى المذهب ، فمذهب الحنفية هو مذهب محمد حيثئذ ، على أنهم اجمعوا على أن القليل الذى لا يسكر اذا كان يؤخذ للهو والتسلية كما يفعل هؤلاء الشاربون فهو حرام كالكثير تماما ولو قطرة واحدة ، (فالبيره) ، وجميع أنواع الخمور محرمة قليلها وكثيرها على الوجه المشروع عند جميع أئمة الدين وجميع المسلمين .

الخصاص والاحتجاج لرأى أبى حنيفة وأبى يوسف

وقد أحتج لرأى الامامين : أبى حنيفة وصاحبه أبى يوسف الامام أبو بكر الخصاص من الحنفية فى كتابه « أحكام القرآن » بأن اسم الخمر حقيقة فى النى المتخذ من العنب منتف عن سائر الاشرية .

واوضح ما ذكره فى ذلك حديث أبى سعيد الخدرى قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم بنشوان ، فقال له : أشرت خمرأ ؟ فقال : ما شريتها منذ حرمها الله ورسوله ، قال : فماذا شريت ؟ قال الخليطين قال : فحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الخليطين ففى ذلك دليل على أن أسم الخمر منتف عن سائر الأشرية الا من النى من ماء العنب وبما روى عن على كرم الله وجهه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاشرية عام حجة الوداع فقال : حرام الخمر بعينها والسكر من كل شراب .

وقال ما خلاصته ان هذا الخبر يدل على أن اسم الخمر مخصوص بشراب بعينه دون غيره ، وأن المحرم من سائر الأشرية هو ما يحدث عنده السكر، ولو لا ذلك لما اقتصر منها على السكر دون غيره ، ولما فصل بينها وبين الخمر فى جهة التحريم . قال : ويدل أيضا على أن تحريم الخمر حكم مقصور عليها غير متعد الى غيرها قياسا ولا استدلالا اذ علق حكم التحريم بعين الخمر دون معنى فيها سواها ، وذلك ينفى جواز القياس عليها ، لأن كل أصل ساغ القياس عليه فليس الحكم المنصوص عليه مقصورا عليه ، ولا متعلقا به بعينه بل يكون الحكم منصوبا على بعض اوصافه مما هو موجود فى فروعها فيكون الحكم تابعا للوصف جاريا معه فى معلوماته اهـ .

الاحاديث والآثار والطب تضعف رأى الخصاص

وذلك كله معارض بما تقدم من الأحاديث والآثار الدالة على اطلاق اسم الخمر على ما خامر العقل ، وأن تجارب الاطباء الآن فى مختلف أنواع الخمور ترجع مذهب الحجازيين ، وأن المفتى به الآن فى مذهب الحنفية هو قول الامام محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة الموافق لمذهب الائمة الثلاثة : مالك والشافعى واحمد فى ان ما أسكر كثيره فقليله حرام.

ج - التدرج فى تحريم الخمر وحكمته :

روى أنه حين نزل بمكة قوله تعالى : ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا (١) ورزقا حسنا ، ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون الآية ٦٧ من سورة النحل كان المسلمون يشربونها ، ولما كان فى الآية جمع بين العناب على اتخاذ السكر والامتنان بنعمة الله فى ثمرات النخيل والأعناب ، وفيها تعريض بقبح تناول السكر حيث وصف بمقابله وهو الرزق بالحسن ، ولم يوصف هو بذلك فقد تنبه بعض الصحابة رضى الله عنهم كعمر ومعاذ الى ضرر الخمر فلما قدم الرسول الى المدينة وكان الانصار يشربونها ويلعبون الميسر ذهب عمر ومعاذ فى نقر من الصحابة رضوان الله عليهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : أفئتنا يا رسول الله فى الخمر فإنها تذهب العقل والمال فتنزل قوله تعالى : يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما الآية ٢١٩ من سورة البقرة .

وقد ذهب بعض العلماء الى أن تحريم الخمر والميسر كان بهذه الآية ، وما أتى بعدها كان من قبيل التوكيد ، لأن الله جل شأنه قال : « قل فيهما اثم » وكل ما فيه اثم حرام بدليل قوله تعالى : قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق الآية ٣٣ من سورة الأعراف .

ولكن رأى الجمهور ان التحريم كان بالآية ٩٠ من سورة المائدة : يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون وهو الحق أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن الربيع انه لما نزلت آية البقرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ربكم يقدم فى تحريم الخمر ثم نزلت آية النساء فقل النبي صلى الله عليه وسلم : ان ربكم يقدم فى تحريم الخمر ثم نزلت آية المائدة فحرمت الخمر عند ذلك . لان فى آية البقرة اخبارا بان الخمر فيها ضرر من وجه ومنفعة من وجه آخر ، وهذا لا يفيد القطع بالتحريم ، ولهذا اجتهد الصحابة فتركها بعضهم ، وأقام على شربها آخرون ظنا منهم ان يتيسر لهم ان يتفغوا بها مع اجتناب ضررها ، ولأن عمر سأل بعد نزولها أى نزول آية البقرة بيانا شافيا فى الخمر روى أحمد وابو داود والترمذى وصححه والنسائى وغيرهم انه قال : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، فإنها تذهب المال والعقل فترلت هذه الآية - آية البقرة ، فدعى عمر رضى الله عنه فقرئت عليه ، فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، فترلت الآية ٤٣ من سورة النساء : يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون

(١) السكر - الخمر ، والرزق الحسن التمر والزبيب والمربى والنخل ، وروى الإزهري عن ابن عباس الاجم

فى ذلك فقال : السكر ما حرم من ثمراتها ، والرزق الحسن ما اجل من ثمراتها

فكان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة : ألا لا يقرين الصلاة سكران ، فدعى عمر فقرئت عليه . فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا . فترلت الآية التي في المائدة فدعى عمر فقرئت عليه فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل أنتم متتهون قال عمر : انتهينا - انتهينا .

ومن الروايات في أسباب التزول

قال الواحدى نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الانصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل ومسلبة للمال . - فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وفي بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوه عن ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية : يسألونك عن الخمر فقال قوم : ما حرم علينا فكانوا يشربون الخمر الى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا اناسا من الصحابة وأتاهم بخمر فشربو وسكروا وحضرت صلاة المغرب . فقدموا عليا كرم الله تعالى وجهه فقرا : قل يا أيها الكافرون أعبد ماتعبدون بمحذوف لالتافية وعنه كرم الله وجهه أنه قرأ : لا أعبد ماتعبدون ونحن نعبد ماتعبدون فأنزل الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك رجلا من المسلمين فيهم سعد بن ابى وقاص الى اجتماع ، وكان قد شوى لهم رأس يعير - فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ثم انهم افتخروا عند ذلك وتناشدوا الاشعار فانشد سعد مافيه هجاء الانصار وفخر لقومه ، فأخذ رجل من الانصار لحي البعير فضرب . به رأس سعد فشجه (١) موضحة ، فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بين لنا رأيك في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تعالى انما الخمر والميسر الى قوله تعالى فهل أنتم متتهون ، وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام ، فقال عمر رضى الله عنه : انتهينا يارب .

الحكمة فى التدرج

والسبب فى هذا التدرج فى التكليف بترك الخمر ان الناس كانوا مدمنين شربها قد ألفوه وصار عادة من عاداتهم ، وتكيفت به أمزجتهم وكان صنعها والاتجار فيها موردى رزق عظيم لبعضهم ، فلو فوجئوا بتحريمها دفعة واحدة لشق عليهم ترك ما ألفوه ولا سئلوا التكليف به وأوشك أن يخالفه أكثرهم ، ويصرفهم ذلك عن قبول الدعوة ، ويحجب عنهم محاسن الاسلام ، فكان من عظيم حكمة الله سبحانه وتعالى ان يبين لهم أضرارها .

(١) الملوحدة للشجة فى الرأس أو الجبهة أو الخدين التى تكشف العظم فيتضح منها

الاجتماعية والدينية والصحية ، ويقنعهم بفوائد تركها اقناعا . وأيضا النهى عن شرب الخمر
نهى عن شئ محبوب ، وتكليف شاق على من الفوه لا تيسر الاستجابة له الا مع رسوخ
الايمان بالله ، والاعتقاد بأنه الرب الحكيم العالم بمصالح عباده الذى لا يشرع لهم الا ما فيه
مصلحتهم .

اصالة الأحكام الاعتقادية للأحكام العملية

ولهذه الحكمة تقدم تشريع الاحكام الاعتقادية على تشريع الاحكام العملية تقدم
لاصول على الفروع ، والاساس على البناء .

رويات أخرى فى اسباب التزول

وأخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت فى البقرة (يسألونك عن الخمر
والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس) شربها قوم لقوله تعالى : (منافع للناس)
وتركها قوم لقوله تعالى : (اثم كبير) منهم عثمان بن مظعون . حتى نزلت الآية التى فى النساء :
(لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) فتركها قوم وشربها قوم يتركونها بالنهار حين الصلاة
ويشربونها بالليل ، حتى نزلت الآية التى فى المائدة : (انما الخمر والميسر) الآية قال عمر :
أقرنت بالميسر والانصاب والازلام ؟ بعدا لك وسحقا !! فتركها الناس .

ووقع فى صدور أناس من الناس منها ، فجعل قوم يعمرون بالراوية من الخمر
فتخرق فيمر بها أصحابها فيقولون : قد كفا نكرمك من هذا المصروع . وقالوا : ما حرم
علينا شئ أشد من الخمر ، حتى جعل الرجل يلقي صاحبه فيقول : ان فى نفسى شيئا فيقول
صاحبه : لعلك تذكر الخمر فيقول : نعم ، فيقول : ان فى نفسى ما فى نفسك حتى ذكر ذلك
قوم واجتمعوا فيه ، فقالوا : كيف نتكلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد (أى
حاضر) وخافوا أن يتزل فيهم (أى قرآن) فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اعدوا
له حجة ، فقالوا : أرايت حمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير وعبدالله بن جحش أليسوا
فى الجنة ؟ قال : بلى قالوا : أليسوا قد مضوا وهم يشربون الخمر ؟ فحرم علينا شئ دخلوا
الجنة وهم يشربونه ؟ فقال : قد سمع الله ما قلتم فان شاء أجابكم فأنزل الله تعالى (انما
يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن
انصلاة فهل انتم منتهون ؟ فقالوا انتهينا ، ونزل فى الذين ذكروا حمزة وأصحابه :
(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية ٩٣ من سورة المائدة .

ترتيب نزول الآيات ودخلها في التدرج

كان الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه يرى أن آية النساء نزلت قبل آية البقرة ، وأن الله تعالى ترك الصحابة الى زمن قوى فيه الدين ورسخ فيه اليقين ، وكثرت الوقائع التي ظهر لهم بها كبير اثم الخمر وعظيم ضررها ، وهو خلاف ما جاء في أسباب نزول الآيات روى الامام احمد عن أبي هريرة رضي الله عنهما قال : حرمت الخمر ثلاث مرات ثم ذكر نزول الآيات الثلاث وما كان من شأن الناس عند كل واحدة منهن ، وقال في آية النساء : ثم انزل الله تعالى آية أغلظ منها . أى من آية البقرة ، وقال مثل ذلك في آية المائدة . ويبان ذلك أن الاولى تحريم ظني ، والثانية تحريم قطعي في معظم الاوقات ، والثالثة قطعي مستغرق لكل زمن . ولعل علوه في هذه المخالفة كثرة الخلاف في أسباب نزول كل آية ، وتاريخ تحريم الخمر ، وتواريخ نزولها ، وأياها أغلظ (١) مع رأيه أن آية البقرة أغلظ .

روايات وقصص تفسر آية « ليس على الذين آمنوا »

ورد في سبب نزول هذه الآية ان بعض الصحابة استشكلوا عند نزول الآية الحاسمة في تحريم الخمر بمصير من مات من المسلمين الذين كانوا يشربونها ، ويلعبون الميسر ، ولا سيما من شهد منهم غزوتي بدر وأحد كحمزة بن عبد المطلب ، ومصعب ابن عمير ، وعبد الله بن جحش فكانت جوابا لهم ومعناها : ليس على الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة من الأحياء والاموات

(١) فقد جعل بعض المفسرين - كما في تفسير القرطبي - آية انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة من آتي المائدة قبل آية انما الخمر والميسر ، لأنها دونها في اللفظ مع أنها بعدها في ترتيب المصحف ، ومنهم من أخرج آية النحل من مراتب التدرج ، لان السكر اخلل أو عصير حلو ، وقيل حرمت الخمر بعد غزوة الاحزاب سنة أربع ومال اليه البخاري ، وقيل في غزوة بني النضير سنة أربع أيضا ، وقيل في شوال من سنة خمس بعد غزوة أحد بسنة كاملة وقيل عام الحديبية بسنة .

والاموات اثم ومواخذة فيما شربوا من الخمر او لعبوا من الميسر قبل تحریمهما اذا ما -
اتقوا ما أدرکوا تحریمه وآمنوا بما أنزل من العقائد والاحکام وقاموا بالاعمال الصالحات
التي شرعت بالفعل ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك عند العلم به ، وآمنوا بما نزل من الاحکام
ثم استمروا على التقوى وأحسنوا أداء صالح الاعمال. فأتوا بها على الوجه الأكمل ان الله يحب.
المحسنين فيحفظهم من كل سوء ويحسن جزاءهم ، .

ولا يصح بحال من الاحوال ما زعمه من اشتبه عليه المراد بالآية ، ومن تعلقوا بذلك
من الجهلة والفسقة من أنه تعالى لما بين في الخمر أنها محرمة عند ما تكون وسيلة من وسائل
الشیطان الى إيقاع العداوة والبغضاء و الصد عن ذکر الله وعن الصلاة بين في هذه الآية
أنه لا جناح على من طعمها اذا لم يحصل منه شيء من تلك المفسد بل حصل منه انواع
المصالح من الطاعة والتقوى والاحسان للاعمال وللخلق ، فهذا قول باطل مردود تناقل
المفسرون الامام الرازي وغيره اجماع كل الامة على بطلانه ورده اذ لا يعقل أن يكون .
معناها اباحة شرب الخمر بعد البت في تحریمها والحسم بتوكيد ذلك لأصحاب .
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم خير الذين اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا .
وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا بالبيان الشافي الذي لا يدع مجالا للشبه حتى قالوا انتهينا انتهينا .
ولو صح أن يكون معناها ما زعموا لكان ذلك نسخاً لتحریم شرب الخمر متصلاً - .
بتحریمها المؤكد او تخصيصاً لتحریمها بغير أهل التقوى الكاملة من المؤمنين الصالحين .
ولو كان ذلك لحلت لأبي بكر وعمر وعثمان وعلى فلم ينتهوا عن شربها ولم ينقل اليها شيء من
ذلك بل انتهوا وأخلوا بتابعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحدثون شاربها ويغلظون في ذمها
أحداث تزيل الالتباس وتعين المراد بالآية

وهذه بعض الاحداث . والقضايا التي وقعت بينهم وحكموا فيها لا تدع مجالاً للشك في أن
تأويل الآية على هذا المعنى خطأ : روى الدارقطني عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن الشراب كانوا يضربون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأيدى والتعال
والعصى حتى توفي رسول الله عليه وسلم فكانوا في خلافة . ابى بكر أكثر منهم في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو بكر يجلدهم أربعين حتى توفي ، ثم كان
عمر من بعده يجلدهم كذلك أربعين حتى أتى برجل من المهاجرين الاولين وقد شرب
فامر به ان يجلد - فقال : لم تجلدني ؟ بيني وبينك كتاب الله ! فقال عمر : وفي أى كتاب
الله تجد ألا أجلك ؟ فقال له : أن الله تعالى يقول في كتابه : ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا الآية فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا
ثم اتقوا واحسنوا ، شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا وأحدًا والخندق
والمشاهد كلها ، فقال عمر : ألا تردون عليه ما يقول ؟ .

فقال ابن عباس : ان هذه الآيات انزلت عذرا لمن غير وحجة على الناس ، لان الله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الآية ثم قرأ حتى انفذ الآية الأخرى ، فان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، الآية فان الله قد نهاه أن يشرب الخمر ، فقال عمر : صدقت ماذا ترون ؟ فقال على رضى الله عنه : انه اذا شرب سكر ، واذا سكر هذى (١) واذا هذى ، افترى ، وعلى المفتري ثمانون جلدة ، فأمر به عمر فجلد ثمانين جلدة .

وذكر الحميدى عن ابى بكر البرقانى (٢) عن ابن عباس ، وروى البخارى نحوه قال : لما قدم الجارود من البحرين قال : يا أمير المؤمنين ان قدامة بن مظعون قد شرب مسكرا ، وانى اذا رايت حدا من حدود الله حق على ان أرفعه اليك ، فقال عمر : من يشهد على ما تقول ؟ فقال : ابو هريرة فدعا عمر أبا هريرة فقال : علام تشهد ؟ قال : لم أره حين شرب ، ورأيت سكران يقى فقال عمر : لقد تنطعت (٣) فى الشهادة ثم كتب عمر الى قدامة وهو بالبحرين واليا عليها فى عهده (٤) يأمره بالقدوم عليه ، فلما قدم قدامة والجارود بالمدينة كلم الجارود عمر : فقال : أقم على هذا كتاب الله ، فقال عمر للجارود : أشهد أنت أم خصم ؟ فقال الجارود : أنا شهيد ، قال : قد كنت أديت الشهادة ثم سكت الجارود ثم قال لعمر : انى أنشدك الله : فقال عمر : أما والله لنملكن لسانك أو لاسوعنك ! فقال الجارود : اما والله ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك وتسوعنى ! فتوعده عمر ، فقال ابو هريرة وهو جالس : يا أمير المؤمنين ان كنت فى شك من شهادتنا فسل بنت الوليد امرأة ابن مظعون ، فأرسل عمر الى هند ينشدها بالله : فأقامت هند على زوجها الشهادة ! فقال عمر : يا قدامة انى جالدك ، فقال قدامة والله لو شربت كما يقولون ما كان لك ان تجلدنى يا عمر ! قال : ولم يا قدامة ؟ قال : لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طمعوا الآية الى المحسنين ، فقال عمر : انك أخطأت التأويل يا قدامة ، اذا اتقيت الله

(١) هلى يهنى هليا وهليانا وهذا هذا يهدو تكلم بكلام غير معقول لمرض أو غيره .

(٢) فى الانساب السمعاني أنه بفتح الباء و سكون القاف نسبة إلى قرية كانت بنواحى عوارزم وعربت .

(٣) تنطع فى الكلام تعمق وتأنق وغالى .

(٤) وقدامة حال عبدالله بن عمر وحفصة أم المؤمنين ، ومن أهل بدر .

اجتنبت ما حرم الله ، ثم اقبل عمر على القوم فقال : ماترون فى جلد قدامة ؟ فقال القوم لانرى أن تجلده مادام وجعا (١) ، فسكت عمر عن جلده اياما ثم اصبح يوما وقد عزم على جلده فقال لأصحابه : ماترون فى جلد قدامة ؟ فقال القوم : لانرى أن تجلده مادام وجعا ، فقال عمر : انه والله لأن يلقى الله وهو تحت السوط ، أحب الى من أنلقى الله وهو فى عنقى ! والله لا جلده ، اثتوني بسوط ، فجاءه مولاہ أسلم بسوط رقيق صغير فأخذہ عمر فمسحه بيده ثم قال لأسلم : أخذتك دقارة (٢) أهلك اثتوني بسوط غير هذا مال فجاءه أسلم بسوط تام ، فأمر عمر بقدامة فجلده وعزله من ولاية البحرين .

القتل عند الاصرار على الاستحلال

بل ذكر الكيا الطيرى (٣) أنه روى عن على كرم الله وجهه أن قوما شربوا بالشام ، وقالوا : هى لنا حلال و تأولوا هذه الآية فأجمع على وعمر على أن يستأبوا فإن تابوا والا قتلوا .

وفى صحيح مسلم أن عثمان رضى الله عنه أتى بالوليد بن عقية وقد صلى الصبح ركعتين وقال : أزيدكم ١٩ فشهد عليه حمران مولى عثمان انه شرب الخمر وشهد آخر انه رآه يتقيوها فقال عثمان : انه لم يتقيها حتى شربها ، وأمر بجلده فجلده عبد الله بن جعفر ، وعلى يعد حتى بلغ أربعين فقال : أمسك ثم قال : جلد النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنة وهذا أحب الى .

(١) مريضا .

(٢) الدقارة وتجمع على دقارير ، وهى الاباطيل وعادات السوء يعيب عمر وهو غاضب اسلم مولاہ رضى الله عنهما أن تأخذه رافة بقدامة فى دين الله ، فيعدل عن الحق إلى الباطل عند تنفيذ حد من حدود الله ، ويقدم له سوطا لا يكفى فى عقوبة الشارب الرادعة جريا على طبيعة قومه وكان يجاوبا .

(٣) الكيا بكسر الكاف وفتح انياء وبعدها الف معناه فى اللغة العجيمة الكبير القدر ، والمقدم بين الناس .

لا محابة في الحدود . . ولكنها لا تقام في دار الحرب

وقد كان من هؤلاء المدمنين أبو محجن الثقفي رضى الله عنه ، ولما أبلى في واقعة القادسية ما أبلى ، وكان نصر المسلمين على يده وترك سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه إقامة الحد عليه ، وكان قد اعتقله لسكر ، تاب الى الله تعالى وعلل توبته في بعض الروايات بأنه كان يشرب علماً أن العقاب الشرعى يطهره ، واذ حابوه به كما ظن - تاب الى الله تعالى خوفاً من عقاب الآخرة ، ولم يترك سعد عقابه محابة كما ظن ، لانه لا محابة ولا شفاعاة في حدود الله بل لان الحدود لا تقام في حال الغزو ، ولا في دار الحرب روى انه صلى الله عليه وسلم قال : لا تقام الحدود في دار الحرب (١) كما ورد النهى عن إقامة الحد في الغزو .

قال ابن العربى يعلق على هذه الاحداث في أحكام القرآن : فهذا يدل على تأويل الآية ، وذكر فيه عن ابن عباس في حديث الدار قطنى ، وعمر في حديث البرقاني وهو صحيح ، وبسطه انه لو كان من شرب الخمر واتقى الله في غيره لا يحد على الخمر ماحداً ، فكان هذا من أفسد التأويل ، وقد خفى على قدامة وعرفه من وفقه الله كعمر وابن عباس اه .

(١) واستدل بذلك الحنفية الذين يرون هذا ، كما استدلوأ بقصة أبى محجن الثقفى مع سعد بن أبى وقاص بالقادسية حين أتى به وقد شرب الخمر فامر به إلى القيد فلما التقى الجيشان قال أبو محجن ياسف على الا يكون طليقا يجاهد في سبيل الله ويعاهد الله الا يعاود الخمر بعد النصر :-

كفى حزنا ان تظعن الخيل بالقنا وأترك مشدودا على وثاقها
إذا قت عتاني الحديد واغلقت مصاريع من دونى تصم المنايا
فله درى يوم أترك موثقاً وتدهل عني اسرتى وزجاليا
حبست عن الحرب العوان وقد بدت واعمال غيرى يوم ذاك العواليا
هلم سلاحى لا ايسالك انى أرى الحرب لا تزدد إلا تماديا
وقه عهد لا أخيس بعهده لئن فرجت الا أزور الحوانيا
فان مت كانت حاجة قد قضيتها وخلفت سعد اوحده والأمانيا

ثم قال لزوجة سعد : اطلقينى ، ولك والله على ان سلمت أن ارجع حتى اضع رجلى فى القيد ، وان قتلت استرحمت منى فحلته ، فوثب على فرس لسعد يقال لها البلقاء ثم اخذ رمحا ثم خرج فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم ، وجعل الناس يقولون هذا ملك لما يرون من صنعه فجعل سعد وهو يشرف على المعركة يقول : الصبر صبر البلقاء ، والظفر ظفر أبى محجن وأبو محجن فى القيد ! لأنه لا يعلم بأمر فكاكه ، فلما هزم العدو رجع أبو محجن حتى وضع رجله فى القيد كما وعد فاخبرت زوجة سعد سعدا بما كان من امره فقال سعد رضى الله عنه : لا والله لا اضرب اليوم رجلا أبلى المسلمين ما أبلاهم ! فخلا سيأه ، فقال أبو محجن : قد كنت اثربها اذ يقام على الحد فاطهر منها فاما اذ بهرجتني اهدرتني باسقاط الحد عني وهكذا افسر صاحب اللسان والقاموس بهرجتني بأهدرتني باسقاط الحد عني وفسر البعض اللغو بين البهجة باسقاط التبعة فى عمل ما فالمعنى فاما اذا سقطت عني تبعة شرب الخمر فوالله لا اثربها ابدا .

اضرار الخمر الدينية والصحية والاجتماعية :

من عناية الاسلام البالغة بالنهي عن شرب الخمر ، وحرصه على الانتهاء عنه النص في القرآن الكريم على قبحها وعظم أضرارها وكثرة اضرارها في البدن والنفس والعقل والمال ، والروابط الاجتماعية .

عرض الله تعالى بقبحها في آية النحل فقال عز من قائل: ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرأ ورزقأ حسناً ، ان في ذلك لآية لقوم يعقلون الآية ٦٧ .

وأشار إلى ضررها بالبدن والنفس والعقل فوصفها جلت حكمته وعظمت رحمته في آية البقرة بأن فيها أثماً كبيراً ، وأن أثمها أكبر من نفعها ، وفي آية المائدة إلى أنها رجس أى شئ نجس قدر لضررها البالغ (١) .

آراء العلماء والاطباء في ذلك قديماً وحديثاً

وقد ذكر العلماء والاطباء قديماً وحديثاً من اضرار الخمر في الجسم والقلب والكبد والكلى ، وفي الدم والدورة الدموية ، وفي الجهاز العصبي ، وأعضاء التناسل ، وفي الأجنة وفي الجهاز الهضمي والجهاز التنفسي ، وفي النفس والعقل والروح الشئ الكثير ونحن نكتفي بأن ننقل مجمل ذلك ونحيل على الأطباء والمختصين لمعرفة تفصيله (٢) .

فهى تفسد المعدة وتمدها ، لأنها ترشح العصارة الهاضمة فيغلظ نسيجها وتضعف حركتها وتنتهى بالسكير إلى الاقهاء وهو فقد شهوة الطعام ، وتسبب التهاب الكلى ، وتمدد الكبد والتهابه وتعوق الدورة الدموية ، لأنها لا تتحول إلى دم كسائر الأغذية فتراحم الدم في مجاريه ، وقد توقف الدورة الدموية أحياناً فيموت السكير فجأة ، وتسبب التهاب الجهاز العصبي بما في ذلك عصب البصر .

(١) الرجس بالكسر ويعرك ويقتح الرأ وكسر الجيم وأصله من الرجس وهو شدة صوت الرعد ، وهدير البعير فسمى العمل الشديد في القمح رجساً ، وفرق ابن دريد بين الرجس والرجز والركس فجعل الرجس الشر والرجز العذاب ، والركس القنارة والآن .

(٢) وفي كتاب الخمر بين الطب والفقه للدكتور محمد علي الباز وفاء بما عرفه الأطباء من اضرارها حتى الآن .

وإذا أصيب السكر بمرض ميكروبي كالالتهاب الرئوي وكثيراً ما يصاب به كان الأمل في نجاته ضعيفاً جداً ، لأن فعل كرات الدم البيضاء يكون على أقل ما يمكن ، وربما تسبب من ذلك غرغرينة في الرئة فيموت المريض حالاً . وتؤدي إلى ضعف النسل وإلى انقطاعه فولد السكر يكون ضعيفاً وحفيده يكون أشد ضعفاً وأقل عقلاً وهكذا يسرى ضعفه إلى أولاده طبقة بعد طبقة حتى ينقطع النسل ، ولا سيما إذا سار البناء على سنة الآباء كما هو الغالب فيهم .

وتؤثر في العقل والنفس لا بفساد الإدراك والتصور عند السكر فحسب بل تضعف نفس القوة العاقلة ، وكثيراً ما ينتهي ذلك الضعف بالجنون ، وقد اشتهر أن بعض الأطباء الأوربيين قال : اقلوا نصف الحانات اضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والبيمارستانات والملاجئ والسجون .

وقال العلامة الانجليزي المشهور بتام في كتابه أصول الشرائع الذي ترجمه أحمد فتحى باشا زغلول تحت عنوان (الجرائم الشخصية) : ان النيذ في الاقاليم الشمالية يجعل الانسان كالابله ، وفي الاقاليم الجنوبية يصيره كالمجنون ففي الحالة الاولى يكتفى بالمعاقبة على السكر كفعل وحشى ، وفي الحالة الثانية يجب أن يمنع بطرق أشد ، وقد حرمت ديانة محمد صلى الله عليه وسلم جميع المشروبات المسكرة وهذه من محاسنها هـ .

الخمر وأمن الدولة وأسرارها وسياستها ومصالحها العسكرية

وعلى الخمر يعتمد الجواسيس في استخراج الأسرار التي قد يترتب عليها أعظم لأضرار من الرجال المسئولين إذا كانت تتعلق بالحكومة وسياسة الدولة ومصالحها العسكرية

فلا يصبح ان يكون السكير اميناً على سر من اسرار الدولة ، ولأن يتولى منصباً ذا خطر من مناصبها ، ولا أن يعتمد عليه في احسان شئ أو يوثق به في الوفاء بشئ ، ولا ينوب عن الامة أو يتحدث بأسمها أو يمثلها في أمر من الامور ، لضعف عقله ونفسه . ومن اضرارها هو ان السكران على الناس وصيروته ضحوة حتى للصبيان ، لفقدانه السيطرة على جوارحه والتوازن في حركاته وسكناته واعماله ، وعدم ضبطه لأفكاره وأقواله : روى ان ابن ابي الدنيا مر بسكران وهو يبول في يديه ويمسح ببوله وجهه كالذي يتوضأ ، ويقول : الحمد لله الذي جعل الاسلام نورا والماء طهوراً ! وعرض بعضهم شرب الخمر على بعض فصحاء المجانين فقال له المجنون : انت تشربها لتكون مثلي وانا اشربها لاكون مثل من ؟ ! .

العقلاء والمجربون واضرار الخمر

وقد ادرك العقلاء حتى في الجاهلية شيئاً من هذه الاضرار النفسية والعقلية والاجتماعية قيل للعباس بن مرداس السلمي في الجاهلية : ألا تشرب الخمر فانها تزيد في حرارتك ؟ فقال : ماأنا بأخذ جهلى بيدي فادخله في جوفى ، ولا رضى أن اصبح سيد القوم وأمسى سفيهم .

كما ادر كها عن تجربة الشعراء المفتونون بالخمر ، واعترفوا بانها من الادواء غير انهم عرفوا الداء ولم يوفقوا إلى تناول الدواء الناجع فهذا ابونواس يقول :
دع عنك لومى فان اللوم اغراء وداونى بالئى كانت هى الداء
ويقول الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويست منها بها

اضرار الخمر الاجتماعية

أما اضرار الخمر الاجتماعية والدينية فقد صرح بها القرآن الكريم ، قال تعالى في آية البقرة على الاجمال : يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الآية ، وقال تعالى في آية النساء : يا أيها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ، وقال تعالى في آية المائدة : انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، وقد تقدم أمثلة لذلك مما وقع لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم الهداة الأبرار الذين استعاذوا بالله من شربها واضرارها ومناسدها واستغاثوا برسول الله يطلبون تحريمها .

بين حمزة وعلى من جرائر الخمر قبل التحريم

وفي الصحيحين من حديث ما وقع بينهم حادث اعتداء على مال كان طرفاه حمزة ابن عبدالمطلب سيد الشهداء ، وابن اخيه على بن ابي طالب فارس عدنان ، وتدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد ادم للحكم فيه ، ولو لا حلمه وحكمته ، ومكانة حمزة وبلاؤه في نصرة الاسلام ، وأدب على وفضله وصبره على عمه لما وقف هذا الحادث عند الحد الذي وقف عنده .

وخلاصة هذا الحادث انه كان لعلى (١) شارفان أراد ان يجمع عليهما الاذخر (٢) مع صائغ يهودى ويبيعه للصاغة ليستعين بثمنه على وليمة فاطمة رضى الله عنها عند ارادة البناء بها ، وكان عمه حمزة يشرب الخمر مع بعض الانصار ومعه قينة تغنيه - فانشدت شعرا حشته به على نحر الناقتين ، واخذ أطايبهما ليأكل منها الشرب ، فثار حمزة وجب أستمتهما وبقر خواصرهما ، وأخذ من أكبادهما ، فلما رأى على ذلك تألم ولم يملك عينيه ، وشكا حمزة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل النبي على حمزة - ومعه على وزيد بن حارثة مغضبا من ذلك على حمزة وطفق يلومه ، وكان حمزة ثملا قد احمرت عيناه فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له ولمن معه : وهل أنتم الاعميد لأبى؟ فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان سكران رجع القهقرى وخرج هو ومن معه

(١) تفتية شارف وهى الناقة المسنة .

(٢) الاذخر نبات طيب الرائحة .

تشديد التكبير في السنة على الشارب :

ومن أخطر أضرارها أنها باذهاها العقل تغرى بجميع الجرائم من قتل ، وسرقة ، وزنى وقذف وغيرها ، ولهذا سميت ام الخبائث : روى الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : الخمر ام الخبائث ، وروى في الكبير عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : الخمر ام الفوحش واكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على امه وخالته وعمته .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى أن قيس بن عاصم المنقري كان شرابا للخمر في الجاهلية فغمز وهو سكران عكته (٢) ابنته ، وكاد ان يقع عليها وسب ابويه فلما افاق أخبر بذلك فحرمها على نفسه .

شرب الخمر والايمان

واشد التكبير في السنة على شاربها حتى وصف بعدم الايمان ، وعلى كل من يكون له أدنى صلة بتهيئة شربها والاعانة عليه — روى احمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائي عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن . وفي رواية البخارى تقديم الخمر على السرقة

معنى الحديث

وقد اختلف العلماء في معنى الحديث فقال بعضهم : المراد من يفعل شيئا من الزنى والسرقة وشرب الخمر مستحلا لذلك ، وقيل المراد نفى الايمان الكامل عن الزانى والسارق والشارب حين تلبسه بالفعل ، وقيل هو خبر بمعنى النهي أى يجب الا يفعل المؤمن ذلك . وقد حقق الامام الغزالي في كتاب التوبة من احياء علوم الدين ان المراد بهذا الحديث ان مرتكب هذه الكبائر لا يكون حال ملابسته وارتكابه شيئا منها متصفا بالايمان الاذعاني (٢) بجرمة ذلك ، وكونه من أسباب سخط الله وموجبات عقابه ، لأن هذا الايمان أى الاذعاني بجرمة تلك الاشياء — يستلزم اجتناب العصيان .

(١) العكنة بالضم ما انطوى وتنفى من لحم البطن سمنا ، وغمزها نوع من مقدمات الجماع ، ولعلها هي التي ردت يده ! .

(٢) الاذعان الخضوع ، والا نقياد والاسراع إلى الطاعة ، والقطع بالعقوبة على العصيان .

الملعونون فى الخمر

وروى احمد وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أثنائى جبريل فقال : يا محمد ان الله لعن الخمر ، وعاصرها ، ومبتاعها ، وساقها ، ومسقاها ، وروى الترمذى وابن ماجه من حديث أنس لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة : عاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، والمشتراة لها ، والمشتراة له

عقوبة الشارب فى الدنيا

ولم يقف الزجر وتشديد النكير عند هذا الحد بل جاء فى السنة المطهرة عقوبة رادعة على الشرب ، ففى أحاديث الصحيحين انه كان يؤتى بالشارب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيضرب بالأيدي والجريد والنعال ، وفى حديث أنس عند أحمد ومسلم وأبى داود و الترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر فجلد بـجريدتين نحو أربعين .

واختار أبو بكر أن يجلد الشارب أربعين ، لان أكثر ما وقع بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم كان أربعين .

وأختار عمر ان يجلد ثمانين موافقة لعلى فى اجتهاده بتشبيه الشارب بالقاذف ، روى الدار قطنى أن عليا كرم الله وجهه قال : اذا شرب سكر ، واذا سكر هذى ، واذا هذى افترى ، وعلى المفترى ثمانون جلدة .

الاجماع على عقوبة الخمر والخلاف فى المقدار والنوع

وعلى الالتزام بالعقوبة جميع مذاهب المسلمين الا انهم اختلفوا أهذه العقوبة حد أم تعزير ؟ والذين قالوا : انها حد اختلفوا فى مقدار الحد أربعون أم ثمانون ؟ فمذهب الامامين : مالك وأبى حنيفة وهو رواية عن الامام احمد رضى الله عنهم أنه ثمانون ، واستدلوا بأن ذلك هو ما استقر عليه عمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهى اليه إجماعهم .

ومذهب الامام الشافعى رضى الله عنه أنه أربعون الا ان الامام لو اراد أن يجلدهم ثمانين جاز له ذلك ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلد بين يديه أربعون ، وفعل أبو بكر رضى الله عنه ذلك اقتداء به ، وزاد عمر رضى الله عنه فجلد ثمانين لما كثر شرب الخمر .

اما قتل الشارب فى المرة الرابعة اذا عاود السكر فممنسوخ بمحدث قبيصة بن ذؤيب الذى رواه عنه أبو داود ، وذكره الترمذى بمعناه عن الزهرى عن قبيصة بن ذؤيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه ، فان عاد فى المرة الثالثة أو الرابعة فأقتلوه ، فأتى برجل قد شرب فجلده ثم أتى به فجلده ثم أتى به فجلده ثم أتى به فجلده ورفع القتل ، وفى بعض الروايات فخلى سبيله .

وحكى ابن المنذر والطبرى وغيرهم عن طائفة من أهل العلم أن الخمر لاحد فيها وانما فيه التعزير ، واستدلوا بالاحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الصحابة من الضرب بالجريد والنعال والأردية ، والسياط تارة اربعين واخرى اكثر ، كما استدلوا بما اخرجه عبدالرزاق عن الزهرى من أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفرض فى الخمر حدا ، وانما كان يأمر من حضر أن يضربوه بأيديهم ونعالهم حتى يقول لهم : ارفعوا .

فلسفة باطلة ومغالطة مفضوحة

وهن هذا تعلم أنه لاقيمة للتغلسف ، والمغالطة بان منع السلطات للخمر يزيد من تعلق الناس بها ، ويدفعهم إلى ان يشربوا فى الخفاء أنواعاً غير صحية ، وخير من هذا ان تراقب سوقها ليعرض للناس النوع الصحى ! فان الخمر ليس فيها نوع صحى بل كل أنواعها ضار كما عرفت طرفاً من ذلك ، وسيأتى له مزيد ان شاء الله ، وان الله ليزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن .

فهذه افكار كان ينفثها المستعمرون تشجيعاً على شرب الخمر للقضاء على الوهنى فى الشعوب المستعمرة حتى يدوم لهم الاستعمار والسيطرة ، وكانت تلك سياسة متبعة لفرنسا وايطاليا فى مستعمراتهما بالمغرب والمشرق كما كانت لانجلترا .

كما كانوا يشجعون الدعارة العلنية بأن البغاء السرى ينشر الامراض السرية ، وخير منه البغاء العلنى الذى تشرف عليه الحكومات فتنظمه وتجعله صحياً بالكشف على المومسات ! لافساد شباب هذه الشعوب ، والقضاء على الحياء والمروءة وسائر القيم الدينية والانسانية فيها .

أسباب ولع الناس بالخمير مع ما فيها من المضار : -

ان الخمير مع ما فيها من الضرر البالغ ، وسوء العاقبة الحتم فانها من أشد الكبائر انتشاراً بين مختلف الأمم قديماً وحديثاً ، ومن أحبها اليهم ، لأن الشيطان يزيناها لهم بمفاتيح عديدة من لذة الطرب العاجلة ، والنفس مولعة بحب العاجل ، ومن الإذها عن المكدرات ، وتسرية الهموم والأحزان الى أمد قصير بما تحدثه من نشاط حيوى عارض ، وتقوية للطبيعة مؤقتة على حساب اجهاد أجهزة الجسم وأعضائه الرئيسية لا تلبث أن تزول

على أن رد الفعل الذى يعقب ذلك فيضعف الهموم والأحزان ، ويزيد فى الكآبة لا يجعل لهذه المفاتيح قيمة تذكر الا عند من يتقاصر نظرهم عن ادراك العواقب أو تسوء حالتهم العقلية والنفسية فيهملون العملية الحسائية التى يجب أن يقوم بها العاقل فى منافع ومضار ما يقدم عليه من الأفعال التى يختلط فيها الشر بالخير ،

معادلة لا بد للعاقل منها

وقد هدى الله جلّت حكمته الى مثل هذه الموازنة بقوله تعالى فى الخمير والميسر :
يسألونك عن الخمير والميسر قل فيهما أثم كبير ومنافع للناس ^١ وإثمهما أكبر من نفعهما
ورحم الله الشاعر الذى أدرك رد الفعل هذا أخيراً فقال :

يقولون ان الهم بالراح ينجلي فما بالها زادت على همومى
ألا رديا خمير مالى وصحتى وماضى أيامى فأنت غريمى

ولهذا يرى بعض الأطباء أن ادمان الخمير نتيجة لجنون سابق ، وليس الجنون نتيجة الإدمان ، ويمثل لذلك بالرجل يصاب بالمألخوليا أو الجنون والأسف الشديد أو بالهستيريا أو الأرق يشرب كثيراً لكى يسكر فينسى الحالة التى تتأبه - ولكن هيهات أن تنفعه هذه المضاعفات .

حذار من قرناء السوء

وقد ثبت بالبحث أن أكثر من يتلون بشرب الخمير لا يقدمون على ذلك بادئ ذي بدء الا تقليداً لقرناء السوء ومجاراة لهم ، وباغراء منهم ، ولا يشربونها فى أول الأمر الا كرها لبشاعة طعمها ، واشتهار أنها عمل منكرو ضار ثم يصير الشرب عادة لهم يعسر عليهم تركه ، وقد يخدعون أنفسهم أو يخدعون بأنه لا ضرر للخمير اذا شربها الإنسان باعتدال ولم يسرف ، وأن شرب القليل منها ان لم ينفع فهو لا يضر ، ولو علموا ان شرب القليل يجرى الى شرب الكثير بعد ان تتأثر الأعصاب بالشرب مرة بعد أخرى ، ولا تحصل الشوة الا بالإسراف لم يتورطوا ، ولم يقفوا فريسة لهذا الداء الويل .

منافع الخمر في الجاهلية أوهام ومضار

واما ما كان يظنه الناس في الجاهلية منافع ومزايا لشرب الخمر ويفتخرون بالتحلى به من شعور بالعزة ، وإثارة الحمية والشجاعة ، كقول بعضهم :-
ونشرها ففتركتنا ملوكا وأسدا ما ينهنا للقساء
ومن أنها تذهب البخل والشح ، وتجعل البخل سخياً كريماً كقول عمرو بن كلثوم في معلقته :-

نرى الرجل الشحيح اذا امرت عليه لما له فيها مهينا
وكقول عبد يغوث بن صلاء بن الحارث في يوم الكلاب الثاني الذي كان بين مذحج ونعيم ، ودارت الدائرة فيه على مذحج قوم عبد يغوث ، وهو اسير محكوم عليه بالاعدام على الرغم مما بذل من نفيس لفداء نفسه :

وقد كنت نحار الجزور ومعمل ال مطى وأمضي حيث لا حى ماضيها
وانحسر للشرب الكرام مطيتى واصدع بين القيتين رداثيا
إلى أن قال :-

كأنى لم أر كعب جوادا ولم أقبل تحلى كسرى نفسى عن رجاليا
ولم اسبأ الزرق النروى ولم أقبل لأيسار صدق أعظموا ضوءا ناريا
فانه جهالة جهلاء ، لأن هذه الحمية هي التي تثير الشحنة وتدفع للعداوة والبغضاء بين السكارى وتغرى بالاعتداء ، ولإحاجة إليها الآن في الحرب ، لأنها أصبحت فنا ، وحسن قيادة من القائد ، وجودة تدريب للجند ، وتخطيط لا يد فيه من سلامة العقل وصحة النظر ، وامتيان الفكر والمرابطة في سبيل الله واليقظة والتأهب الدائم لسرعة الحركة والصبر ومصابرة الأعداء ومغالبتهم فيه ، ومباراتهم في الاستعداد للحرب بمثل العتاد الذي يستعدون به أو يفوقه مما يدخل في قدرتهم ، وقد حث الإسلام على هذا فقال تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الآية . وقال صلى الله عليه وسلم : فيما رواه مسلم والترمذى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : ألا أخبركم بخير الناس رجلا ممسك بعتان فرسه في سبيل الله ، وفي رواية كلما سمع هبة طار إليها (١)
وأما اتفاق المال فقد كان متفعا حين كان ينفق على الفقراء والمساكين من العشيرة اما الآن فانه يذهب إلى الأشرار من الاجانب والفسقة من المواطنين ، ويضر بالأفراد الذين يتعاطونها ، وبالجماعة والدولة تبعاً لذلك .

واما العريضة وصدع الاردية وثنق الجيوب بين القيان فانها الجنون بعينه ، والتحلل الأخلاقى الكامل ، وفقدان السيطرة على نوازع الهوى والنفس الحيوانية التي هي ميزة الانسان على الحيوان . وقد لقي طرفة بن العبد باعترافه سوء عاقبة هذه العريضة والمجون والسفاهة من الوسط الجاهلى في قوله من معلقته :-

وما زال تشرابى الخمر ولذتى ويبى واتفاقى طريفى ومتلدى
إلى أن تجافتنى العشيرة كلها وأفردت افراد البعير العبد

(١) الهبة صوت يفرغ منه ويخشى من هجوم علو .

التداوى بالخمير واختلاف الفقهاء فيه

وقد يدفع إلى شربها التداوى بها ، وهى شبهة قوية تستحق البحث ، لأنها ان صحت . كان فيها مبرر ودعاية جذابة لشرب الخمر ، لأن التداوى مطلوب شرعاً . روى الامام احمد عن انس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله حيث خلق الداء خلق الدواء ، فتداوا ، وغير هذا الحديث فى طلب التداوى كثير فى السنة الصحيحة وقد اختلف الفقهاء فى التداوى بالخمير بعد اتفاقهم على جواز شربها لاساغة الغصة وازالة الاختناق ، ولازالة العطش المهلك اذا لم يجد مايشربه أو يزيل به ذلك سواها .

فقال الجمهور بعدم الجواز مطلقا ، وقال آخرون يجوز بشروط :-

الا يوجد دواء من الحلال يقوم مقام التداوى بها .

وان يصفها للدواء طيب مسلم عدل .

وان يكون المقدار الموصوف للتداوى قليلا لا يسكر .

والا يقصد المتداوى بها اللذة والنشوة .

والا يتجاوز المقدار الذى يحدده الطبيب .

ادلة المانعين

واستدل الاولون بعموم قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم . ومارواه مسلم واحمد وابو داود والترمذى من ان طارق بن سويد الجعفى سأل النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يصنعها فنهاه عنها ، فقال : انما أصنعها للدواء فقال صلى الله عليه وسلم : انه ليس بدواء ولكنه داء .

ادلة المجيزين

واستدل الآخرون باباحته صلى الله عليه وسلم لبس الحرير لعبد الرحمن بن عوف لمكان حكمة به (١) ، وبما ثبت فى الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم أذن للعربيين أن يتداووا بأبوال الابل .

وبظهر أن القول بالمنع يتحتم فى شرب الخمر لتغذية المعدة أو الدم أو إيجاد شهوة الطعام ، لأنها لا تفيد فى ذلك عاجلا الا لتضعاف الضرر آجلا ، وأما أخذ نقط قليلة لا تسكر لعلاج نوبة قلبية أو فى دواء مركب تغنى فيه نقط الخمر ، ويتغلب عليها

(١) الحكمة مرض جلدى يوجب أن يحك المصاب به جلده كالجرب ونحوه .

غيرها فلا يزال يحيزه الان بعض الأطباء ، والاحتياط منه . وقال الامام البيهقي في التوفيق بين أحاديث المنع التي استدل بها الجمهور وبين حديث العرينين الذي استدل به المجيزون : ان صحت هذه الاحاديث فهي محمولة على النهي عن التداوى بالمسكر والتداوى بالحرام من غير ضرورة ليجمع بينها وبين حديث العرينين .

اختلاف الأطباء ايضاً

وقد جرى مثل هذا الخلاف بين الأطباء المحدثين ، وهذه جمل ذكرها صاحب تفسير الجواهر الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله مترجمة من كتاب الاستاذ كيلوج الامريكى قال تحت عنوان : الاستعمال الطبى للخمر : من كان عنده أقل ريب فى أن الخمر سم فإيتبر بما يكون عند وصولها الى المعدة ، فان النشاء المخاطى يصير محتقنا ويخرج مقداراً من المخاط ليحمى نفسه ، ويرى تمدد المعدة وقواها الدافعة تسرع فى اخراج ما وصل اليها بأسرع ما يكون ، ثم ذكر ان الاستاذ لبيج قال : ان الانسان اذا اعتدل فى الشرب قوى جسمه واكتسب نشاطاً (١) ، وقد نقض هذه النظرية ثلاثة من علماء الكيمياء الفرنسيين ثم الاستاذ ادوار سميث الانجليزى وقد برهن الثلاثة الاولون على بطلان ما تقدم بقولهم : ان الخمر تخرج من الجسم ولا اثر لها ، وزاد الاخير أنه حلل الدم فلم يجد فيه ادنى شئ من العناصر التي تتركب منها الخمر ، وقال الدكتور ملر الاسكتلندى : الخمر لا تشفى شيئاً ، وقال الدكتور هييجتو نوم امام الجمعية الطبية البريطانية : انا لا اعلم مرضاً قسّط شفى بالخمر ، وقال الدكتور جنسون الانجليزى : ان الخمر ليست ضرورية ألبتة لتستعمل دواء ، وقال فى ابطال قولهم : ان الخمر غذاء وانها تحفظ الجسم او تقوى العضلات : ما هذه القوة ؟ ان هى الا اسم آخر من اسماء السموم ، فقولنا : فلان نشوان محتناه مسموم

(١) وقد اغتر بهذا الخلط بعض الشعراء فأجاز شرب القليل من النبيذ ، وزعم انه مفيد وحذر من شرب الكثير

قال :-

شرب النبيذ على الطعام قليلاً	فيه الشفاء وصحة الأبدان
واذا شربت كثيره فكثيره	مزج عليك ركائب الشيطان
فتكون بين الصالحين كبومة	عمياء بين جماعة الغربان
فاحذر بجهلك أن ترى كجنية	بعد العشاء قتصاد بالارسان

والجنية الدابة تقاد إلى الجنب وحسبنا فى الرد على ذلك ما نقلناه عن هؤلاء الأطباء الكبار انجليز وفرنسيين من براهين علمية داحضة .

وبرهن على ذلك بقوله : اذا أدخلنا الخمر أو أى سم آخر من العقاقير السامة الى تعد بالمئات . فى الجسم فان جميع الأعضاء تستعد للمقاومة والمدافعة لاجراجه من الجسم ، ومن هنا كان النشاط . وقال فى نقض قولهم : الخمر تمنع المرض : ان الناس يتعاطون الخمر لأمراض مختلفة فاذا كان ما يقولونه حقا فأضرار الخمر أشد فتكا من تلك الأمراض بالجسم ، فكيف بها اذا كانت لا تشفى منها شيئا ؟ فان تجارب الأطباء تثبت انها لا تترك اثرا فى النسيج ، والاثر الحقيقى انما يكون فى النسيج ، وقال فى ابطال قولهم : لا ضرر فى الخمر الصافية : ان الخمر الصافية هى سم صاف ! ! فاذا احتج الشارب بامثال هذا فقد ضل ضلالا بعيدا . لأنه اثبت ان الخمر سم فسواء أكانت الخمر نقية أو مخلوطة فهى ضارة بالصحة .

وفى أشهر مرجع طبى بريطانى وهو مرجع برايس الطبى يقول الدكتور اوبرى لويس أستاذ الأمراض النفسية فى جامعة لندن : ان الكحول هو السم الوحيد المرخص بتناوله على نطاق واسع فى العالم كله ، ويحده تحب يده كل من يريد أن يهرب من مشاكله ، ان جرعة واحدة من الكحول تسبب التسمم ، وتؤدى الى الهيجان أو الحمود أما شاربو الخمر المدمنون فيعرضون للتحلل (١) الاخلاقى الكامل مع الجنون .

وثانى هذه العوامل هو اضطراب الشخصية ، وثالث هذه العوامل هى المضاعب والمشاكل التى يواجهها المرء فى حياته مثل الفشل فى أى أمر من أمور حياته كالفشل فى العمل أو الدراسة أو الزواج أو أى شئ من هذا القبيل ، فيهرع الى الكأس ظانا أنها تنقذه من همومه فاذا بها الهم الذى لا هم بعده (٢) ، ويحاول أن يهرب منها فلا يجد ملجأ منها الا اليها فيظل يتناولها حتى تأتى عليه . . .

أمريكا وتحريم الخمر

فمشكلة الادمان اعمق من أن ننظر الى ظاهرها فقط ولا يكفى أن نبين أضرارها . فان الذى يشرب غالبا لا يجهل ما فيها من أضرار من أجل ذلك كله فقد قامت الولايات المتحدة فى القرن العشرين بتجربة تحريم الخمر ، وقد أقر الكونجرس الأمريكى بالاجماع تقريبا منع الخمر بقانون صدر فى ١٦ يناير سنة ١٩١٩ وينفذ من بداية يناير ١٩٢٠ ويحرم القانون صناعة الخمر سرا أو جهرا ، وبيعها ، وتصديرها ، واستيرادها ونقلها ، وحيازتها . . وكل من يخالف ذلك يعاقب بالسجن أو الغرامة أو كليهما معا .

(١) هذا هو اول العوامل فى كلامه .

(٢) وهذا معنى قول الشاعر العربى الذى قدمناه :

يقولون ان الهم بالراح ينجل فما بالها زادت صلي همومى !

مواقفة الكونجرس بعد الدراسة والتوعية والاستفتاء

و مد دراسة مستنيضة اعتمدت على ما قدمه الاطباء وعلماء الاجتماع والسياسيين من دراسات مفصلة عن مدى خطورة شرب الخمر ، وما ينتج عن ذلك من أضرار وافق الكونجرس على القنون ، وقبل أن تقوم الحكومة بهذه الخطوة قامت بحملة توعية واسعة النطاق في جميع وسائل الاعلام حتى يصحب المنع شيئاً من الاقتناع ، ويكون وقعه مقبولا ، وشملت الحملة الاعلامية دور المدارس والمصانع حتى أصبحت هناك مادة تدرس عن أضرار الخمر بل أصبحت جزءا من المواد الدراسية التي يدرسها الطالب في كل مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعات ، ومبالغة في معرفة اتجاه الشعب أجرى استفتاء عام قبل الاقدام على المنع فوافقت الاغلبية الساحقة على ذلك الاجراء ثم بعد ذلك قام الكونجرس وأعقبه مجلس الشيوخ بالموافقة على المنع .

واستمرت التوعية تواكب المنع وبدلوا في ذلك جهودا جبارة حتى كان عدد ما كتب في هذه الحملة عن أضرار الخمر تسعة ملايين صفحة أي ١٨ ثمانية عشر الف كتاب عدد صفحات كل كتاب ٥٠٠ خمسمائة صفحة أفاضوا في بيان أضرار الخمر الطبية والاجتماعية والاخلاقية .

وبلغت تكاليف هذه الحملة الاعلامية في ذلك العام فقط خمسة وستين مليون دولار غير ان الحكومة الامريكية لم تفلح بعد هذا كله في القضاء على هذه الآفة القاتلة ، والغى قرار المنع .

أمريكا تعجز عن التنفيذ مع اقتناع الاغلبية الساحقة

ويقول أحد المؤلفين الامريكان :

ان قرار منع الخمر لم يبلغ على أساس أن الخمر جيدة أو سيئة ضارة أو غير ضارة ان القرار قد اتى على أساس واقعي هو أن المنع قد فشل . (١)

الدعوة الاسلامية وقربها من العقول وأثرها على النفوس

فما أعظم تأثير الايمان بالله ورسله وآثاره ، وما أقرب الدعوة الاسلامية من العقول وما أسرع فعل الدعوة الاسلامية في النفوس وسيطرتها على القلوب ، وما أبرك الارشاد المحمدي ، والنصح القرآني في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي صرف

(١) (كتاب الخمر بين الطب والفقه)

الصحابه رضوان الله عليهم ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين عن شرب الخمر ، وما ثم أخرى من عمل الشيطان بآيتين من سورة المائدة مهد لهما بآية من سورة البقرة وآية من سورة النساء ، وكره اليهم الاثم والفسوق والعصيان : امروا في الاولى من الآيتين باجتنابها فاجتنبوها ونهوا في الثانية عنها فلم يقارقوها بعد ذلك ، فهم مؤمنون ولا يشرب الشارب الخمر حين يشربها وهو مؤمن انتهوا عنها فوراً من غير تلكو ولا لحاج بل مجوا ما بافواهم منها ، وأراقوا ما فى كتوسهم ودنانهم فى شوارع المدينة .

المخدرات

وأما الحشيش (١) والأفيون (٢) والكوكايين (٣) والمروين (٤) والقات (٥) وما إليها من المخدرات والمغيات والمفترات فى أشد فتكا وأعظم ضرراً .

يقول ابن تيمية رضوان الله عليه : ان الخمر حرمت لضررها فى جسم الانسان وعقله ، وما ينتج عن ذلك من امور ومشاكل واضطرابات ، وان هذه الاسباب نفسها تدعو الى تحريم الحشيش ، لان الحشيشة أشد نجسا وأكثر ضرراً واكبر ايداء للفرد والمجتمع من الخمر ، لذلك يجب ان تكون مكافحتها اشد وحدها أعنف من حد استعمال الخمر ، ويرى ابن تيمية ان هذه الحشيشة موجبة لسخط الله وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين ، لانها مشتملة على ضرر فى دين المرء وعقله وخلقه وطبعه ، وتورث الخيالات الفاسدة والجنون ، وهى محرمة بمثالة غيرها من المسكرات اه .

تحريم التداوى بالخمر معجزة اسلامية

اذن فلا شك ان ما كشفه علم الكيمياء من اضرار الخمر يثبت معجزة من معجزات القرآن الكريم الذى وصف الخمر بأنها رجس ، اخباراً بالغيب ، ويثبت معجزة من معجزات خاتم المرسلين الذى قال : انه ليس بدواء ولكنه داء : من طريق الوحي لا من طريق التجربة والتحليل ، فليعتبر بهذا من كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ، وليعتبر به شباب

(١) نبات تستخرج منه مادة مسكرة .

(٢) كلمة فارسية لعصارة لبنية تستخرج من نبات الحشيش يستعملها الممنون للتخدير .

(٣) مادة مخدرة تستخرج من اوراق شجرة الكوكا وتستخدم فى الطب كمخدر موضعى ، ويرغب فيها المدمنون على المخدرات .

(٤) مركب كيميائى من أعلاط مخدرة

(٥) نبات مخدر يزروع باليمن يصفون أوراقه للتخدير .

الاسلام فيعملوا بشريعة نبيهم معجزة الشرائع التي لا تزال تتلاحق نتائج العلوم ومباحث العلماء ، وتتضافر على تأييدها ، وعليهم أن يقاطعوا الخمر ويحاربوها كما حاربتها الامم التي ادركت ضررها من طريق العلم ، والله الهادي الى سواء السبيل .

نجاسة الخمر :

نزلت آية تحريم الخمر الحاسمة : آية المائدة فلم تترك شبهة لمشتبه في التحريم لما اشتملت عليه من المبالغة في ذمها باكثر من منفر من شربها ، فقرنتها بالانصاب والازلام أعلام الوثنية وطواغيت (١) الشرك حتى قال عمر رضي الله عنه عند نزولها : أقرنت بالانصاب والازلام بعدا لك وسحقا ؟! وجعلت من عمل الشيطان لكثرة ما ينشأ عنها من الشرور والآثام واثارة العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ونصت على أنها رجس .

كلمة الرجس في القرآن ومعناها

الرجس كلمة تدل على منتهى التبع والقذارة ، وعلى النجاسة الحسية والمعنوية ، وقد ذكرت كلمة الرجس في القرآن الكريم في تسع آيات منها الآية ١٤٥ من سورة الانعام : قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميثمة أو دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس الآية ، وهي فيها بمعنى النجاسة الحسية ، ومن هنا قال جمهور الفقهاء : ان الخمر نجاسة العين نجاسة حسية كنجاسة البول والدم ، واستدلوا بهذه الآية وقال بعضهم : انها نجاسة نجاسة مغلفة حتى لو اصاب ثوبا اكثر من مقدار الدرهم منها لا يجوز الصلاة فيه ، وقالوا : لا يجوز تمليكها ، ولا تملكها ، واستدلوا بما روى من الاحاديث في ذلك منها ما رواه مسلم عن ابن عباس : أن رجلا هدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية (٢) خمر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل علمت ان الله حرمها قال : لا ، قال : فسار رجلا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم ساررتة ؟ قال : أمرته أن يبيعها فقال : ان الذي حرم شربها حرم بيعها قال : ففتح المزادة حتى ذهب ما فيها ، فهذا الحديث يدل على حرمة بيعها — اذ لو كان فيها منفعة من المنافع الجائزة لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال في الشاة الميتة : هلا اخذتم اهابها (٣) فدبغتموه فانتفعتم به ؟ الحديث .

(١) جمع طاغوت وهو كل رأس ضلال والشيطان وكل معبود من دون الله والطواغيت أيضا بيوت الأصنام .

(٢) الراوية — القرية التي فيها الخمر سماها مرة براوية مرة بمزادة وهما بمعنى واحد وربما قالوا مزاد بغير (هاء) .

(٣) الإهاب الجلد .

حكم الخمر اذا تخللت وحكم تخللها

واختلفوا في حل اكلها اذا تخللت فذهب - الجمهور - إلى انه لا يجوز تخللها بعمل آدمي ، لان النبي صلى الله عليه وسلم استؤذن في تخليلها فقال : لا ونهى عن ذلك ، وقال قوم منهم الليث بن سعد والثوري والاوزاعي والكوفيون : لا بأس بتخليلها ، ولا بأس بأكل ما تخلل منها بمعالجة آدمي وعمله ، ومذهب المالكية أنها اذا تخللت بذاتها جاز اكلها

أُسئلة حول ما يدخل فيه الكحول

وقد سألنا بعض المواطنين عن استعمال الكولونيا والروائح التي يستعمل في حلها السبرتو هل يجوز التطيب بها شرعا أو لا يجوز ؟ فأجبنا فيما يأتي باختصار :

من العلماء من قال بعدم نجاسة الخمر كريهة والليث بن سعد والمزني صاحب الشافعي وابن لبابة وابن الحداد والتتائي من المالكية ، وأن تحريمها لضررها بالتقول ، وهذا معنى كونها رجساً في آية المائدة : يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . واستدل سعيد بن الحداد على طهارتها بسفكها في طرق المدينة المنورة قال : ولو كانت نجسة لما فعل ذلك الصحابة رضوان الله عليهم ، ولنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نهى عن التخلي (١) في الطرق .

فلاشئ في استعمال الكولونيا والروائح التي يستعمل في حلها السبرتو الابيض وغيره على أن الجمهور الذين يقولون بنجاسة الخمر والسبرتو خمر ، لأنه مسكر ، وكإس مسكر خمر منهم من يقول يجوز التضمخ (٢) بالنجاسة مع الكراهة فاستعمال الكولونيا والروائح التي يستعمل في حلها السبرتو وان كانت نجسة فالتطيب بها مكروه ، والمكروه عند الفقهاء ما يثاب على تركه ولا يعاقب على فعله .

ولاشك ان القول بمجرد الكراهة في الخمر التي استحال إلى صلاح ، وفي النجاسات المعنوية التي لا يعافها الطبع ، ولا تنفر منها النفس كنجاسة الخمر معقول ، وليس فيه بعد والله اعلم .

(١) أي قضاء الحاجة .

(٢) التضمخ للتطبخ

الخمر عند اهل الكتاب

بيننا في ماتقدم خلاف العلماء في تحريم القليل الذى لا يسكر من غير خمر العنب ومن الشبه التى يستدل بها الذين يذهبون إلى اباحة مادون القدر المسكر مما سوى خمر العنب أن الأديان السابقة كانت تحل الخمر ، ولا تمتنع الا السكر ، وهذا على فرض صحته (١) لا يدل على عدم تحريم ذلك فى الاسلام الذى يعتبر مكملًا للأديان السماوية على ما اقتضته حكمة الله من التدرج والترقى فى التشريع .

فقد ورد فى العهدين القديم والجديد من تبشيع السكر والتنفير منه ما يعتبر تمهيداً حسناً لتحريم الخمر قليلها وكثيرها فى الاسلام .

من ذلك ما جاء فى نبوة أشعيا عليه السلام من العهد القديم : ويل للمبكرين صباحاً يتبعون المسكر وللمتأخرين فى القمة تلهيهم الخمر ، وصار العود والرباب والدف والنأى والخمر ولائمهم ، وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون ، لذلك سبى شعبى لعدم المعرفة وتصير شرفاؤه رجال جوع ، وعامته يابسين من العطش لذلك وسعت الهاوية نفسها وفغرت فاهها بلا حد : وقال بولس فى العهد الجديد من رسالته إلى اهل أفسوس : ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة ونهى عن مخالطة السكيرين ، وجزم بأن السكيرين لا يرثون ملكوت السماوات .

والعجب من قول الشوكاني فى ارشاد الفحول — مع هذا — : قد تأملت التوراة والانجيل فلم اجد فيهما الا اباحة الخمر مطلقاً من غير تقييد بعدم السكر .

(١) لأن من اهل الكتاب من يعتقد أن الخمر حرام مطلقاً ، وفى النصوص الآتية من العهدين القديم والجديد ما يؤيد

ذلك ، وعلى كل حال سواء كان المحرم عندهم شرب الخمر مطلقاً أو للسكر فالأخذ بمثل قول القائل :

فان لم تكن حلا على دين احمد أدرها على دين المسيح ابن مريم

جهل وفسوق ، وكفى مع الاستحلال .

الشريعة الإسلامية ا حكامها وحكمها لسعادة البشر

ليس أدل على أن الله سبحانه وتعالى بعث النبيين للناس مبشرين ومنذرين ، وانزل معهم الكتب بالحق ، وأرسل خاتمهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة العامة الخالدة رعاية لمصالحهم ، وإرشادا الى سبيل سعادتهم فى الدنيا والاخرة من قوله جلّت حكمته كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم الآية ٢١٣ من سورة البقرة ، ومن قوله تعالى عظمت رحمته لنبي الرحمة : وما أرسلناك الا رحمة للعالمين الآية ١٠٧ من سورة الانبياء ٥.

فتحقيق مصالح العباد وسعادتهم فى الدنيا والاخرة يجلب النفع لهم ، ودفع الضرر عنهم هو المقصد الأول والحكمة العامة فى تشريع الاحكام الالهية (١) ولكل حكم من الاحكام التفصيلية حكمة فى كتاب الله أو أسباب نزول آياته أو فى السنة الصحيحة يبينها المفسرون ، وأصحاب السنن وشرح الاحاديث النبوية والائمة المجتهدون ، يقول تعالى بعد تشريع الوضوء والغسل والتيمم : ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون الآية ٦ من سورة المائدة ، ويقول تعالى فى ثمر القبله : ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولا تم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون الآية ١٥٠ من سورة البقرة ، ويقول تعالى فى شرع الصلاة : اقل ما اوحى اليك من الكتاب واقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الآية ٤٥ من سورة العنكبوت ، ويقول تعالى فى التكليف بالصيام : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون الآية ١٨٣ من سورة البقرة ، ويقول تعالى فى الحكمة من تشريع القصاص : ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون الآية ١٧٩ من سورة البقرة ، ويقول جل شأنه فى الاذن بالقتال : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير الآية ٣٩ من سورة الحج .

(١) فالتحقيق أن أحكام الله تعالى قائمة على رعاية مصالح العباد ، وهو اختيار أكثر المتأخرين من الفقهاء ، وأما نفور بعض المتكلمين من تسمية رعاية هذه المصالح بالعلة أو الغاية أو الفرض فسيبىه أن كلا من العلة والغاية والفرض يشعر بحاجة الحاكم ، والله تعالى منزّه عن الحاجة ، ولو اريد بها ما يقصد به تكميل عبادته كانت رعايتها نوعا من الكرم والرحمة ، ومظهرا من مظاهر العدل والحكمة .

احكام الشارع لانتزاع من حكمة

وهكذا دل الاستقراء على ان للشارع الحكيم فى كل حكم من احكام الشريعة الاسلامية حكمة ، وقد خرج علماء اصول الشريعة الاسلامية من هذا الاستقراء، ومن تعرف مصالح الناس فى الواقع وعلى الطبيعة ، ومن النظر فى مدى توقف صلاحهم عليها ، وسعادتهم بها، ودرجة افتقارهم اليها قوة وضعفا أنها تنحصر فى انواع ثلاثة : مصالح ضرورية ، ومصالح حاجية ، ومصالح تحسينية .

الضروريات او الكليات الخمس

وعرفوا المصالح الضرورية بأنها الامور التى تقوم عليها حياة الناس ولا تستقيم الا بها بحيث اذا فقدت فسدت حياتهم وعمت فيهم الفوضى ، واختل النظام ، وانعدم الأمن والاستقرار ، وهلكوا او كسادوا .

واجملوها فى خمسة اشياء : حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض ، والمال وقالوا: انها روعيت فى جميع الاديان ، وقد شرع الله تعالى لكل امر من هذه الامور الخمسة احكاما تكفل ايجاده ، واحكاما تكفل حفظه .

فشرع لايجاد الدين وجوب الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وسائر العقائد ، واركان الاسلام الخمسة ، واصول العبادات ، والمعاملات والأخلاق واوجب الدعوة اليه .

وشرع لحفظه احكام الجهاد لقتال من يحاول العدوان عليه او يفتن مسلما ليرجع عن دينه او يقف عقبة فى سبيل الدعوة اليه ، وعقوبة (١) من يرتد عنه او يتدع فيه مالىس منه .

ومن هنا لخص علماء الاسلام وظيفة من يلى أمور المسلمين فى شرافة الدين وسياسة الدنيا وشرع لايجاد النفس النكاح للتوالد والتناسل ، وبقاء النوع .

وشرع لحفظها ايجاب القصاص او الدية والكفارة على من يعتدى عليها ، واوجب دفع الضرر عنها ، وحرم ان يلقي بها الى التهلكة .

وشرع للعرض (٢) الزواج للعفاف وتكوين اسر طاهرة ينشأ فيها الأولاد بين ابوين طبيعيين ، وتتوافر عاطفة الابوة الحققة مع عاطفة الأمومة .

(١) لثلا يفتن به غيره .

(٢) العرض يطلق على موضع العفة ، والملح والذم من الانسان ، وعلى ما يصونه من نفسه أو من يلزمه من حرمه وأهله ، وعلى ما يفتخر به الانسان من حسب وشرف .

وشرع لحفظه حد الزانية والزاني ، وحد القذف .
 وشرع لايجاد المال ايجاب السعي لتحصيل الرزق بالتجارة والزراعة والصناعة وسائر
 انواع العمل المشروعة
 وشرع لحفظه تحريم السرقة وحد السارق والسارقة ، وتحريم ائتلاف مال الغير وتضمين
 قيم المتلفات ، وتحريم الغش والخيانة ، والتزوير واكل اموال الناس بالباطل ، وواجب
 الحجر على السفينة وذى الغفلة .
 واما العقل فقد وهبه الله للانسان ، وفضله به على كثير من خلق ، واستأهله لخلافته
 فى الارض .

وشرع لحفظه وبقائه فى سلامة ونشاط وكمال تحريم الخمر — موضوع كلامنا —
 وشرع حداً وعقوبة صارمة على من يتناولها او يتناول اى شئ يماثلها فى الاضرار به
 من المخدرات والمفترات

ما هى ؟ وأحد هى أم تعزير ؟

وهى ثمانون سوطا عند مالك وأبى حنيفة وفى رواية عن أحمد رضى الله عنهم ،
 مستدين باجتماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على ذلك : روى الامام البخارى
 من حديث السائب بن يزيد : قال كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وامرة ابى بكر ، وصدر من خلافة عمر فنقوم اليه بايدينا ونعالنا وارديتنا حتى
 كان آخر إمرة عمر فجلد اربعين حتى اذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين ، واما ما روى من جلد
 على أربعين بعد عمر فلم يصح .

وهى أربعون سوطا عند الشافعى ، وفى رواية عن احمد رضى الله عنهما ، وحجة
 الشافعى ومن وافقه أن النبى صلى الله عليه وسلم انما جلد أربعين كما جاء
 فى صحيح مسلم قال : حدثنا أبوبكر بن أبى شبة حدثنا وكيع عن هشام عن قتادة عن
 أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يضرب فى الخمر بالنعال والجريد أربعين ، و أما
 زيادة عمر فهى تعزير والتعزير الى رأى الامام لأن شاء فعله وان شاء تركه بحسب —
 المصلحة فى فعله وتركه (١) .

(١) التعزير فى الاصل من العزر وهو المنع ويطلق على اللوم والتأديب والضرب الشديد وعلى العقوبة دون
 الحد ، لأن كل ذلك يمنع من معاودة القبيح ويطلق على التوقير والتعظيم والاعانة والنصر ، ضد ومنه قوله تعالى :
 وعزروه ونصروه الآية ١٥٧ من سورة الاعراف فى الشراء على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصاره
 لأنهم منعه حتى لا يقوى عليه عدو والمراد بالتعزير فى قوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه
 ويسبحوه . الآية ٩ من سورة الفتح التى تعد فيها الضمانات على الله سبحانه تعزير دينه ورسوله بالمنعة والنصر قال
 جابر الله من فرق الضمانات اى جعل بعضها الله وبعضها لرسوله فقد ابدع الله .

بم تثبت هذه الجريمة

وتثبت هذه الجريمة بأحد الأمور الآتية :-

بشهادة رجلين تتوافر فيهما الشروط العامة للشهادة من العقل والبلوغ والعدالة والحفظ وعدم العداوة والقراة والمحاباة .

وبالاقرار ويكفى فيه ان يقر مرة عند الائمة الاربعة مع مراعاة شروط الاقرار .
وبالرائحة تفوح من فمه وتعتبر وحدها دليلا على الشرب عند الامام مالك اذا شهد بها شاهدان ، ولا تعتبر كذلك عند أبي حنيفة والشافعي ، لاحتمال الاكراه على الشرب أو انه أكل نباتا أو شرب شرابا تشبه رائحته رائحة الخمر كشراب التفاح والسفرجل كما قال الفائل ينكر اتهامه بشرب الخمر :

يقولون لي : انك (١) قد شربت مدامة فقلت لهم : لا قد شربت السفرجل
والخلود تدرأ بالشبهات .

وبالسكر عند الامام مالك وعند الامام أبي - نيفة يعتبر السكر دليلا على الشرب ، فإذا شهد على شخص اثنان بأنهما وجدها في - الة سكر ووجدت فيه الرائحة وجب عليه حد الشرب .
ولا يرى الامام الشافعي السكر دليلا على الشرب لاحتمال انه احتقن بها أو استعطها (٢) أو شربها لعذر من غلط أو اكراه .

وبالقي عوحده عند الامام مالك ، ولا يرى الامام ابوحنيفة والشافعي القبي وحده دليلا على الشرب .
وحجة الامام مالك أن عمر رضي الله عنه حد قدامة لما شهد علقمة أنه رآه يتقيأ الخمر ، وقال عمر : من قاءها فقد شربها ، وكذلك قال عثمان رضي الله عنه لما شهد رجلان على الوليد بن عقبة : احدهما أنه رآه يشربها ، والآخر أنه رآه يتقيؤها : لأنه لم يتقيأها حتى شربها وكان ذلك بحضور من الصحابة فلم ينكره أحد منهم فكان اجماعا ولعل ذلك لم يثبت عند أبي حنيفة والشافعي أو رأيا أن ذلك كان اجتهادا من عمر وعثمان رضي الله عنهما

(١) تنفس لتعرف رائحة فمك لمن يشمها .

(٢) أي ادخلها في أنفه يقال : استعط الدواء اذا أدخله في أنفه .

شروط توقيع هذه العقوبة

وتوقع هذه العقوبة بشروط يجب تحقيقها في مرتكب هذه الجريمة وهي ان يكون مسلماً فلا يحد غير المسلم ، لقوله صلى الله عليه وسلم في اهل الكتاب : اتركوهم وما يدعون . فالخمر لهم كالخل لنا ، والخنزير لهم كالشاة لنا (١) ولكن يعزّر المتظاهر منهم بشربها على التظاهر لاعلى الشرب ، لانه يشيع منكراً في دار الاسلام .

مكلفاً بأن يكون بالغاً عاقلاً ، وأن يكون مختاراً غير مكره على شرب الخمر ، وان يكون غير مضطر إلى شربها ، وأن يكون على علم بأن ما يشربه خمر سواء علم أنه من عصير العنب أو غيره أو علم أن كثيره مسكر أم لم يعلم شرب منه مقداراً يسكر أو لا يسكر عند الجمهور ، وعند الحنفية لا يحد اذا علم أن كثيره يسكر ولكنه شرب منه مقداراً لا يسكر

الحاجيات

وضبطوا المصالح الحاجية بأنها الامور التي يحتاج اليها الناس في تخفيف أعباء الحياة ومشاق التكليف ، وتيسير سبل العيش ، ولا يترتب على فقدها ما يترتب على فقد الضروريات من الفساد ، وانهار النظام ، والهلاك ، ولكن ينالهم عند فقدها من الضيق والخرج ما يعتنهم ويشق عليهم .

سماحة الإسلام واليسر في شريعته

وفي الشريعة الاسلاميه احكام وافية برفع الضيق والخرج عن العباد ، كالرخص في العبادات من طهارة وصلاة وصوم وغيرها ، وكالاتثناء من شروط القواعد العامة في عقود المعاملات ، كاستثناء السلم والاجارة من عدم جواز بيع المعلوم ، لأن من شروط العقود عليه أن يكون موجوداً ، والمسلم فيه والمنفعة غير موجودين عند عقد السلم والاجارة ، وكاعتقار الجهالة في المزارعة والمساقات وبيع الغائب لحاجة الناس لذلك

وقد نوه تعالى بهذه الأحكام وامتن فقال عز من قائل : ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون الآية ٦ من سورة المائدة ، وقال تعالى : وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج الآية ٧٨ من سورة الحج ، وقال تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الآية ١٨٥ من سورة البقرة

وطلب التيسير وعدم التعسير على العباد أصل في الاسلام عقيدة وعبادات ومعاملة واخلاقاً اجمله صلى الله عليه وسلم في الحديث الكريم : بعثت بالحنيفية السمحة الحديث وصرح به في احاديث كثيرة من اشهرها مارواه انس : يسروا ولا تعسروا وبشروا

(١) هذانص أنصح في أن أهل الكتاب أو أن منهم من يدينون بحل الخمر ولحم الخنزير

ولا تنفروا، ومنها أخذ الاصوليون قاعدة: المشقة تجلب التيسير ، وهى أصل لجميع الرخص التى شرعها الله ترفيها وتخفيفا عن المكلفين عند الاسباب التى تقتضى التخفيف كالسفر والمرض والاكره والنسيان ونحوها.

التحسينيات

وقالوا عن التحسينيات انها الكماليات التى تتحسن بها حياة الناس وتكامل وتطيب غير انها اذا فقدت لا يتعرضون للهلاك والدمار كما لو فقدوا الضروريات ، ولا يصيهم عسر ومشقة ، كما اذا فقدوا الحاجيات لكن تكون حياتهم دون المستوى الذى تطمح اليه الفطرة السليمة ، وتتطلع اليه العقول الراجحة ، والنفوس العالية ، والأذواق الراقية من الرخاء ورغد العيش ولينه.

وقد شرع تعالى لذلك جلت نعمه فأباح الزينة التى أخرجها لعباده والطيبات من الرزق ، قال تعالى : يا بنى آدم خلوا زينتكم (١) عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة (٢) الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق الآيتان ٣١ - ٣٢ من سورة الاعراف .

وشرع الطهارة والنظافة فى الابدان والياب والماكل والمشارب والمساكن ، وجعلها من الايمان، وندب إلى النوافل والقرب فى العبادات والمعاملات والعادات ، وأرشد إلى أكرم اساليب الحياة والعيش ، وأجمل منهاج الآداب والسلوك .

(١) الزينة الزخرفة والحسن ، والمراد بها هنا الثياب الحسنة ، والمراد بأخذها ستر العورات والتجمل بها واظهار نعمة الله فيها ، وترك العادة الجاهلية المنكرة التى كان عليها العرب غير القرشين وهى الطواف بالبيت عراة والمطلوب من ذلك يختلف كما قال عمر رضى الله عنه باختلاف حال الانسان فى السعة والضيق كالنفقة : قال تعالى : « لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاه » الآية ٧ من سورة الطلاق ، فمن عنده ثوب واحد يستر جميع بدنه فليستر به جميع بدنه ويصل به فان لم يستر الا العورة كلها أو العورة المنطقية - وهى الحواشيى فليستر به ما يستره ، ومن وجد ثوبين مهما يكن نوعهما أو أكثر فليصل بهما أو بها ، وقد عد الفقهاء من اعداء ترك الجمعة والجماعة فقد الرجل الثياب اللائقة به بين امثاله حق العمامة للعالم .

(٢) وزينة الله التى اخرج لعباده انواع لا تكاد تحصى للمال والجنون زينة ، والحلى زينة ، والخلع المسومة والمراكب الفارحة ، والتصور المشيدة ، والحداثى الغناء ذات البهجة بالوان نباتها وازهارها زينة ، والفنون الجميلة وآثارها زينة ، فجاء الاسلام دين الفطرة السليمة والجمال والكمال ينكر اشد الانكار على الذين حرموا زينة الله التى اخرج لعباده ، وما رزقهم الله من الطيبات اقراء على الله ، وللام مالك رضى الله عنه رد مشهور بالآية على يحيى بن يزيد النوفلى الذى أخذ عليه ما أباحته يرجع اليه فى كتاب العلم من احياء علوم الدين للامام الغزالى .

ويتبين مما تقدم أن الزم الأحكام لمصالح الناس الضروريات ، ويلبيها الحاجيات .
فالتحسينيات لانهم اكملتان لها ، والتحسينات مكملة للحاجيات فلا يصح العمل بحكم
تحسيني اذا كان في العمل به اخلال بحكم ضروري ، مثال ذلك أن يتوقف
اجراء عملية جراحية ضرورية على كشف العورة ، لأن ستر العورة تحسيني والعلاج
ضروري فيباح كشفها :

ادلة لا يوضح انقرة:

ويمكن أن يمثل لتوضيح الفرق بين المصلحة الضرورية والحاجة والتحسينية .
المساكن بالمسكن الذي يكون في حدود ما يمكن الانسان وبقية شدة الحر والبر : ، ولو كان
كوخاً أو مغارة في جبل أو بيتاً من شعر ، فانه مصلحة ضرورية له ، وبالمسكن الذي يكون
فوق ذلك صحياً ذا ابواب ونوافذ تفتح وتغلق حسب الحاجة يتجدد منها الهواء ، وتدخل
الشمس ، فانه مصلحة يحتاجها الانسان ، وبالقصر الذي يتوافر فيه مع ذلك الأثاث الفاخر
والمرافق المريحة ، ووسائل الحياة الطيبة الكريمة ، والعيش الهنيء المستحسن .

كما يمكن مثل ذلك في ملابس الانسان ، وماكله ومشربه ، ففيها الضروري ، والحاجي
والتحسيني .

ومثل الفرد المجتمع اذا تحقق لافراده وجود ضرورياتهم وحاجياتهم وتحسينياتهم
وحفظت مما يخل بها فقد تحقق له مايكفل مصالحه وصار مجتمعا راقيا صالحا ، واذا اختل
شيء منها كان لاختلاله من الأثر ماله في الافراد (١) .

(١) في الشعر العربي الآيات التي لم ينسبها سيبويه في شواهد النحو : ونسبها بعضهم إلى ميسوالة كلابيه
وهي امرأة بدوية تزوجها معاوية رضى الله عنه ، ونقلها من البادية إلى الحضر ، وهي ام ولده يزيد ، وهي
تشير إلى هذه الفروق ، وان كانت قد فضلت فيها الضروريات على الكماليات لضيق نفسها بظروف مع أمير
المؤمنين :

لبيت تحفق الأرواح فيه	أحب إلى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقرعني	أحب إلى من لبس الشفوف
واكل كسيرة في قعري	أحب إلى من أكل الرغيف

الحدود حکمتها واهميتها في الاسلام

وحرصا من الاسلام على تحقيق ضروريات الناس شرع تلك الحدود الزاجرة الرادعة محافظة على الدين ، والنفس ، والعقول ، والاعراض ، والاموال ، وشدد في وجوب اقامتها : روى النسائي وابن ماجه عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حد يعمل (١) في الارض خير لأهل الارض من أن يمحطوا اربعين صباحا .

وروى أن فاطمة المخزومية سرت شيئا من المتاع ، وعز على بنى مخزوم أن تقطع امرأة منهم في سرقة ، وهم بطن من اشرف بطون قريش ، ورهط خالد بن الوليد رضى الله عنه ، فاخhtarوا أسامة بن زيد ، وكان من احب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع فيها ويرجو الرسول أن يغفر لها زلتها ، ويدبرأ عنها الحد فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكر على أسامة ذلك قائلا : — أشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب الناس ، وقال : انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف فيهم تركوه واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ، وروى الدارقطني والبيهقي في السنن أنه صلى الله عليه وسلم قال : ادرؤا الحدود ، ولا ينبغي للآمام تعطيل الحدود أى لا يجوز ترك اقامة شئ منها بعد ثبوته على وجه لا مجال فيه للشبهة.

وهذه الحدود في الواقع من مميزات الاسلام ، وميزات شريعة الله تعالى العالم بمصالح عباده ، وأدوائهم وادويتها ، وامراضهم وسبل الشفاء منها ، فلو قتل القتل والبغاة لكأ في القصاص حياة (٣) ، ولو قطعت ايدي اللصوص التي ارضختها (٤) السرقة والحياة

(١) أى ينفذ فيمن يستوجبه أنفع من ذلك ، حتى لا تنتهك حرمان الله تعالى فيغضب .

(٣) أدرك هذا العرب فقالوا : القتل أنفى للقتل .

(٢) أى يرفعه عنها ولا ينفذه فيها .

(٤) لما قال أبو العلاء عن قطع يد السارق والسارقة :

يد بخمس مئين عسجد وديت ما باها قطعت في ربع دينار ؟

اعتبر علماء الشريعة ذلك زندقة منه ، واعتراضا على حد السرقة ، فاجابه علم الدين السخاوى :

عز الأمانة أغلاها وأرضخصها ذل الخيانة فافهم حكمة البارئ

والذين يحسنون الظن بفيلسوف المعرة يتولون ذلك بأنه أراد التنبيه إلى البحث عن الحكمة ، وبيانها ، ونصار

السرقة أى أول مقدار يستوجب القطع ربع دينار عند الائمة : مالك والشافعى واحمد ، وعند ابي حنبل

دينارا وماساوى ذلك ، وعلى التقديرين الفرق كبير بين ديتها اذا قطعت ، والحكمة ما اشار اليه

علم الدين السخاوى ، لأن الأمانة قمة القيم الاسلامية ، والخيانة أم الجرائم لا يأمن الناس معها على أموالهم

ولا أرواحهم ، فكثيرا ماتتبع الأرواح الاموال في الهلاك على أيدي اللصوص اذا شعر بهم أهلها وقاوموهم

كان فى ذلك قضاء على الجرائم المروعة التى تنزل بالمجتمع من الأضرار أضعاف ما ينزل بهم من عقاب ، ولو رجم الزناة المحصنون ، وجلد غير المحصنين ، والقذفة والسكرارى لكان فى ذلك قضاء على ما يتسببون فيه للناس من أذى وأضرار أضعاف ما يلحق بهم من أذى وأضرار .

الحدود لوضع حد للجرام والعذوان

على ان تنفيذ هذه الحدود سيحد من الاجرام والعذوان او يقضى عليه فيحد من تنفيذها او تنتهى موجباتها فتنتهى ، لانها انما شرعت للاصلاح لا للقسوة ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذه الحدود : انما شرعت رحمة من الله تعالى بعباده فهى صادرة عن رحمة الخلق والاحسان اليهم ، ولهذا ينبغى لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الرحمة والاحسان اليهم ، كما يقصد الوالد تأديب ولده وكما يقصد الطبيب معالجة المريض آه . . ويؤيد انها للاصلاح ورحمة المجتمع لا للقسوة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قطع فى زمن المجاعة . رواه الخطيب فى التاريخ ، وعمل بذلك عمر رضى الله عنه عام (١) الرمادة ، وأنها تدرأ بالشبهات أخرج ابن عدى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم : ادرعوا الحدود بالشبهات ، واخرج الترمذى والحاكم والبيهقى وغيرهم من حديث عائشة رضى الله عنها : ادرعوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم غرجا فخلوا سبيله ، فان الامام لأن يخطئ فى العفو خير من ان يخطئ فى العقوبة ، ومن أرحم من الله بعباده . ١٩

وهى من المميزات الواضحة للشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية ، لقلة الخلاف بين الشريعة والقانون المدنى الا فى بعض الأحكام كأحكام المعاملات الربوية التى تبيحها القوانين الوضعية ، وتحرمها الشريعة الإسلامية ، ولعدم لزوم التعارض بينها وبين القانون

(١) الرمادة الهلاك وعام الرمادة عام فى أيام عمر رضى الله عنه سمي بذلك لانه كان عام جذب ومجاعة هلكت فيه الأموال والأنفس فوقف فيه حد السرقة وأخر اخذ الزكاة عن تجب عليهم تخفيفا عنهم .

الجناي في الجنح والمخالفات ، لأن العقوبة عليها في الشريعة الإسلامية تعزيرية متروكة للقضاء يحكمون فيها بما يرونه مناسباً لردع الجانح والمخالف ، ولم تحدد لها عقوبات معينة فقد يرى القاضي الاكتفاء ببذل النصيح ولفت نظر الجاني لسوء عمله ، وقد يحكم عليه بالحبس أو الجلد أو الإعدام اذا استفحل ضرره وتفاقم خطره ، واقتضت المصلحة العامة ذلك .

تهرب مكشوف من تنفيذ الحدود

فالعجب العجيب ممن يرون أن الحدود التي شرعها الله جلّت حكمته لإصلاح أحوال الناس بالقضاء على الفساد والجرائم لا تطبق الا اذا صلحت أحوال الناس ، استعدوا لذلك، ومتى تصلح أحوال الناس ويستعدون لذلك؟ وبم تصلح ويستعدون لذلك؟ وقد عجزت القوانين الوضعية أن تقضى على الفساد أو تحد منه ؟ وبحت أصوات الوعاظ ، ونفدت كلمات النصيح من المفكرين وعلماء الاجتماع ، وقد تفاقم الفساد واستحدثت أساليب وطرق جهنمية للسرقة والقتل والنشل والسلب والنهب، وكثر السطود والعدوان ، والرشوة والبهتان ، واستشرى ، وضج الناس واستغاثوا؟ هذا دور باطل وفكر متخاذل .

أفليس من صدق الايمان بالله تعالى ، والاعتقاد في حكمته أن نستجيب لدعائه ونندأوى بدوائه ، ونرضى بقضائه ، ولا نخشى في ذلك لومة لائم ؟

الميسر

الميسر أو القمار ومفاسده

كان القمار (١) معروفا عند أكثر الأمم منذ أقدم العصور ، وقد حرمه القانون الروماني إلا في المآدب ، وأحل المراهنة في الألعاب الرياضية ، وحرمت الكنيسة المسيحية فلما جاء القرن السادس عشر انتشر القمار في أوربا انتشارا مريعا ، وتأسست بيوت للمقامرة في جميع العواصم الأوروبية ، وعندما استفحل ضرره وتفاقم خطره ، وأدركه العقلاء والحكومات حرم كذلك في إنجلترا والمانيا وأمريكا وغيرها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

سبق الاسلام كشانه إلى كل اصلاح اجتماعي

اما الاسلام فقد سبق إلى تحريم القمار من أربعة عشر قرنا . قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه نعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم متبهون الآيةان ٩٠ ، ٩١ من سورة المائدة

ويظهر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يستبشع الميسر استبشاعا عظيما كما يستبشع الانصاب والأزلام ، ولهذا قال عند نزول هاتين الآيتين : أقرنت - يعنى الخمر بالميسر والانصاب والأزلام بعد الك وسحقا ٢١ (٢) .

والميسر في الاصل القمار بالقداح الذى كان معروفاً عند العرب حينذاك ، وهو عبارة عن لعبة يجتمع لها الفتيان والرجال ، ويأتون بناقعة ينحرونها ويقسمونها عشرة أجزاء أو ثمانية وعشرين جزءا ، ويأتون بقداح عشرة كانت معروفة عندهم ، وهى قطع رقيقة من الخشب تشبه السهام لكل منها اسم خاص ، ول بعضها نصيب معين .

(١) وهو كل لعب يشترط فيه ان يأخذ الغالب من المغلوب شيئا سواء كان بالورق أو غيره .

(٢) السحق - البعد والهلاك : دعاء عليها بأن يعدها الله ومهلكها .

والاصل في تسمية القمار بهذا المعنى ميسراً أن الجزور أى الناقة أو الحمل الذى كانوا يتقامرون عليه يسمى ميسراً من اليسر بمعنى التجزئة والاققسام لانهم كانوا يجزئونه أجزاء توزع على الفقراء فكان بذلك مكان التجزئة ، ثم صار يقال للمتقاملين يأسرون وللقمار ميسر .

وقيل سمي القمار ميسراً من اليسر بمعنى السهولة ، لان الربح فيه كسب بلا مشقة او من اليسار ، لانه يكون سبباً فى اليسار للارباح .

اسماء السهام والأنصبه

الفذ وله جزء ، والتوأم وله جزءان ، والرقيب وله ثلاثة ، والجلس وله اربعاً والنافس وله خمسة ، والمسبل وله ستة ، والمعلى وله سبعة ، ولانصيب للمنيح والسفيح والوغند

طريقة اللعب بها

فيضعونها فى خريطة (١) وهى وعاء خاص ويسلمونها لأمين يديرها - اى يحركها - وهى فى جوف الخريطة حتى يختلط بعضها ببعض ثم يمد يده على غير هدى فيخرج قلدحاً منها باسم احد اللاعبين ثم آخر باسم آخر حتى يخرج عشرة (٢) الأقداح ، فمن خرج له قلدح له نصيب أخذ نصيبه ، ودفعه للفقراء الذين كانوا ياتفون حول الياسرين ، ومن خرج له قلدح لا نصيب له لم يأخذ شيئاً ، وغرم اصحاب السهام التى لا نصيب لها ثمن الجزور .

كل ما فيه مغالبة ورهان قمار

وقد اختلف العلماء فى المراد بالميسر فى الآية - هل هو ذلك النوع من القمار الذى كان معروفاً عند العرب أو هو كل مقامرة ؟ ولكن لاختلاف بين الفقهاء فى أن كل قمار محرّم الا ما اباحه الاسلام من الرهان فى السباق والرماية بشروط (٣) تأتى ترغيباً فيها استعداداً للجهاد .

(١) هى فى الأصل وعاء من جلد أو غيره يشد على مافيه كالجراب والكيس والمخلاة .

(٢) نظم بعضهم أسماء هذه السهام العشرة على الترتيب فقال :-

كل سهام الياسرين عشرة	فاودعوها صحفاً متشعبة
لها فروض ولها نصيب	الفذ والتوأم والرقيب
والجلس يتلوهم ثم النافس	وبعده مسبلهن السادس
ثم المعلى كاسمه للمعل	صاحبه فى الياسرين الأعلى
والوغند والسفيح والمنيح	غفل فما فيها يرى ريسح

(٣) ستذكرها عند الكلام عن السباق الآتى .

روى عن مجاهد وعطاء وابن سيرين كل شئ فيه خطر — أى مغالبة ورهان فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز ، وعن علي كرم الله وجهه : الرد والشطرنج من الميسر ، والرد هو الطاولة ، ولعل المراد اذا كان اللعب بهما على مال أو ألهيا عن ذكر الله وعن الصلاة .

الصدىق يراهن قبل التحريم فيمهد الرسول للتحريم

ويشكل على هذا كله مراهنه ابي بكر رضى الله عنه لابي بن خلف بمكة على أن الروم من بعد غلبهم سيغلبون فارس فى بضع سنين ، كما اخبر القرآن (١) .

واجيب بأن هذه المراهنة كانت بمكة قبل تحريم القمار ، كما اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم والبيهقى ، لأن سورة الروم مكية ، وتحريم الخمر والميسر كان فى المدينة .

ولا يخفى ما كان فى هذه المراهنة من دفع شماتة المشركين المتعصين لوثنية فارس بالمسلمين الحاديين على الروم ، لانهم اهل كتاب ، ومادته من اظهار اليقين بصدق ما جاء به خاتم المرسلين .

وقد مهد عليه صلاة الله وسلامه لتحريم المراهنات ، كشأن الشارع الاسلامى فى التدرج بتحريم ما ألّفه الناس حتى يقبل التحريم ولا يشق وينفر منه ، فنهى صلى الله عليه وسلم صاحبه الصديق رضى الله عنه أن يتمول (٢) ما كسبه من هذه المراهنة لاخلاله بالمروءة وأمره أن يتصدق به .

(١) قال تعالى : الم ، غلبت الروم ، فى ادنى الأرض وهم من غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ .

(٢) أى يتخذ ما لا يقتنيه لنفسه .

ومن الميسر اليانصيب

ومن الميسر أوراق اليانصيب ، ومهما يقل فى منافع بعضها من أنها تبعث الناس على التبرع للأعمال الخيرية بغرض مكافأة مغرية لبعضهم من غير تعيين ، ليتسابقوا فى الاحسان فان ضررها أكثر من نفعها . لأن المولعين بشراء هذا الاروراق يمضى الدهر على أكثرهم وهم يلقون بأموالهم وارزاق عيالهم وأسرههم فى هذه الهاوية من غير أن يجتنوا من وراء ذلك شيئاً بل لا يجنون الا الحسرة وخيبة الأمل .

أما التبرع للأعمال الخيرية فقد حدث عليه الاسلام ورغب فيه بما هو خير من عرض الدنيا الفانى ، وأضمن من هذه المجازفات الطائشة ، والطرق الوهمية التى تعود على قليل من — الياسرين بحظ وافر من غير مقابل يناسب ما استفادوا من مال على حساب الآخرين . رغب فيه بالجنة وثواب الآخرة والآخرة خير وأبقى

ومما لا ريب فيه أن النوع المعروف عند العرب من القمار اذا كان حراماً مع انه لا يعود منه شئ على الغالب الا لذة اللعب والفوز بل يرجع كل ما فيه من ربح الى الفقراء والمساكين كانت أنواع القمار الاخرى التى يتضح فيها أكل أموال الناس بالباطل اولى بالتحريم .

اثمه أكبر من نفعه

وقد أشار القرآن الى أن للميسر منافع فقال تعالى : يسألونك عن الخمر والميسر قل هيئما اثم كبير ومنافع للناس وأثمهما أكبر من نفعهما ، ومن منافعه هذه التوسعة على الفقراء والمحتاجين فى قمار العرب ، لأن من قمر وغلب كان لا يأكل من لحم الجزور ، لأن ذلك عيب عندهم ، وانما كان يفرق نصيبه عليهم ، وقد يقمر فى المجلس الواحد مائة بعير فتوزع عليهم ، ومنها ما يجده الراح من السرور بالظفر والأريحية .

ومنها المساعدة على بناء المستشفيات والمدارس والملاجئ من يانصيب الجمعيات الخيرية .

ومنها الكسب من غير كد والثراء المفاجئ الا أن هذه المنافع مهما تبلغ فهى لا توازى ما فيه من اضرار عظمى واثم أكبر .

وقد جاء فى آيتى المائدة المتقدمتين بيان أضرار الميسر ومفاسده الاجتماعية والدينية على أسلوب القرآن الكريم فى التشريع من بيان سبب التحليل والتحرير والحكمة فيما . يحلل او يحرم ، فذكر تعالى انه رجس كئى شىء قدر ضار ياباه العقل الراجح الذى . يقضى بتجنب كل مايزيد ضرره على نفعه ،

وانه من أعمال الشيطان التى يزينها لأولياته ويغريهم بها بما يخيّل اليهم من ربح متوهم ، ويوسوس لهم أن يعكفوا عليها مع شدة اضرارها بهم واضاعتها لأموالهم وتخريبها لبيوتهم وهدمها لعائلاتهم فى طرفة عين

وأن الشيطان يريد أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء بما يبعثه القمار من الحفيظة والحند فى نفس المغلوب ، والخسرة على ما سلب منه بغير مقابل .

وأنه يريد أن يصدّهم عن ذكر الله الذى هو روح الدين ، وعن الصلاة التى هى عماده ، وأى شىء يشغل القلب ويصرفه عن ذكر الله وعن الصلاة وكل ما سواه مثل القمار ؟ فان المقامر اذا كان غالبا انهمك فى المقامرة طمعا فى التزيد حتى لا يبقى له شىء وان كان مغلبا تهافت على اللعب طمعا فى تعويض ما فقده ثم تضعف قواه العقلية شيئا فشيئا حتى لا يكاد يتغلب على هذا الطمع الوهمى فى غير مطمع ، وهذا شر ما فى القمار ولا ينتهى من يبتلى به الى طمأنينة ورضا ولا تستقر نفسه على حال ..

ومن مضاره افساد التريبة بتعويد النفس الكسل والبطالة وانتظار الرزق من الاسباب الراهمية ، واضعاف القوة العقلية بترك الاعمال المفيدة فى طرق الكسب الطبيعية واهمال . المقامرين لآزراعة والصناعة والتجارة التى هى أركان العمران .

وان مما يهول ويروع ويوجب اشد الاسف أن تكون هذه الجائحة الجنونية والآفة الاجتماعية متفشية بين الشبان والكهول فى النوادى والمقاهى والمنازل والطرق ، تعمل على سحق الكفاف مما يكسبه هؤلاء البؤساء ، ومحق اليسار مما اوتيه اولئك التبعساء

وتقلد، بهم فى الوان من المصائب ، كالافلاس والدين والحاجة ، والهم والغم وتستدعى .
من الرذائل ما لا قبل للمجتمع به من السرقة والاحتيال والقتل والانتحار ، والسلب والنهب
والتعطل والتسول ، والتفريط فى حقوق الوالدين والزوجة والاولاد: يجلس الرجل الى
موائد القمار ومعه من المال ما يقيم أوده ، ويسترحاله ويحفظ عليه كرامته ، ويعول أهله
ولا يلبث أن يقوم صفر اليدين ويرجع يخفى حنين ، الندم والذل والهوان حشواها به
والقيظ والحقد والحفيظة ملء جوانحه .

ألا فليق الله فى انفسهم وأسرهم وامتهم هؤلاء الطائشون الطامعون فى الكسب .
ومصادفة الثراء من غير الطريق المامون بل من طريق الافلاس فى نهاية المطاف والله ، المسئول
أن يتدارك البلاد من هذا الآفة المدمرة .

والانصاب : النصب بفتح التبع ، ومنه قوله تعالى : فلما جاوزا قال لفتهآ آتنا
غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا الآية ٦٢ من سورة الكهف ، والنصب بفتح فسكون
وبضم فسكون وبضمين الداء والبلاء والشر ، ومنه قوله تعالى : واذكر عبدنا أيوب
اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب الآية ٤٣ من سورة ص ، والبلم والشىء .
المنصب يقال : اجعل هذا نصب عينيك — أى أمامك — ومنه قول الله تعالى : يوم يخرجون
من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون الآية ٤٣ من سورة المعارج .

اختلاف المعنى باختلاف القراءة

قال ابو اسحاق : من قرأ الى نصب بالفتح فمعناه الى علم منصوب يسبقون اليه .
ومن قرأ الى نصب بضمين فمعناه الاصنام ، وما عبد من دون الله من الحجارة والتمايل
والاصنام والجمع أنصاب . قيل هى من الاصنام المنصوبة التى يعبدونها لتقربهم الى الله
زلفى ، وكان ابن جريج يفرق بين الأنصاب والاصنام بان الانصاب حجارة (خام) لسم
تحت ، ولم تصور أو تنقش ، كانوا ينصبونها للعبادة ، ويذبحون عندها ، وكانوا اذا
ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل منها على البيت ، وشرحو اللحم ونشروه عليها يقصدون بذلك
تعظيم البيت الحرام والتقريب الى الاصنام .
وهى من الحرفات التى ابطالها الاسلام .

وحرّم ما ذبح عليها فقال جل شأنه: حرمت عليكم الميتة والدم (١) ولحم الخنزير وما أهل لغير الله (٢) به والمنخنقة (٣) والموقوذة (٤) والمتردية (٥) والنطيحة (٦) وما أكل السبع إلا ما ذكيتُمْ وما ذبح على النصب وإن تستقموا بالإزلام الآية ٣ من سورة المائدة ، والنصب واحد الانصاب .

والإزلام : جمع زلم بالتحريك كجمل أو زلم بضم ففتح ، وهو قدح من قدام الاستقسام (٧) وكان لهم ثلاثة قداح ، وهى قطع رقيقة من خشب مكتوب على أحدها (امرئى ربى) . وعلى الثانى (نهانى ربى) والثالث غفل لاشئ عليه ، فإذا أراد أحدهم سفرا أو زواجا أو تجارة أو غزوا أو غير ذلك أجال هذه الإزلام فى الخريطة واستخرج واحدا منها فإن خرج له الزلم المكتوب عليه امرئى ربى مضى لما عزم عليه ، وإن خرج له المكتوب عليه نهانى ربى كف عما أراد ولم يمض اليه ، وإن خرج الغفل الذى لا كتابة عليه أعاد الاستقسام وفى بعض الروايات أن الإزلام كانت سبعة عند هبل يفصل بها فى الأمور الهامة عندهم ويتعرفون بها قسمتهم وحظوظهم ومانعتهم لهم الأقدار : على بعضها (لا) وعلى بعضها (نعم) وعلى بعضها (منكم) وعلى بعضها (من غيركم) وعلى بعضها (لصيق) . الخ سواء أكان ما يراد معرفته أو ترجيحه سفرا أم غيره ، ونسبا أم غيره ، وتحملا للدية أم غيره وعلى الجملة نفيا أم اثباتا ، خيرا أم شرا ، استدلالا على حسن أم قبح .

- (١) المائدة المستوح - أى السائل لا المتجند بطبيعته كالكلب والطحال .
- (٢) ما ذبح أو نحر وذكر عليه غير اسم الله تعالى ، وكانوا يهلون - أى يرفعون أصواتهم بذكر غير اسم الله من أسماء آلهتهم عند الذبح .
- (٣) الشاة التى تخنق بجبلها أو بادخال رأسها فى موضع لا تستطيع التخلص منه فخنقت وتموت - وقبل كان الجاهليون يخنقون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها .
- (٤) وهى التى تضرب بشئ غير محدد كعصا أو حجر حتى تنحل قواها وتموت .
- (٥) وهى التى تقع من مكان مرتفع كجبل أو فى منخفض كثير فتموت .
- (٦) وهى التى نطحها حيوان آخر فماتت . إلا إذا ذكيت هذه المحرمات التى يتوقف حلها على تذكيتهما تذكية شرعية ، وفى ذلك أقوال للمفسرين وتفصيل فى المذاهب يرجع إليه .
- (٧) وهو طلب معرفة ما قسم للمستقسم غيبا فى غده ومستقبل أيامه أو ترجيح قسم مما يريد أن يقدم عليه من أعما ومشاريع على قسم آخر منها .
- (٨) والزلم أيضا السهم واحد سهام النبل .

وفى بعض الروايات أن عملية الاستقسام بالأزلام كانت تتم بين يدي الكهنة ، وفى بعضها ان الرجل قد يكون له زمان يحملهما فى رحله يرجع اليهما ليستخدما بنفسه فى معرفة حظه وقسمته ، واختيار ما يقدم عليه أو يكف عنه من عمل .

وقال الأزهرى : الأزلام كانت لقريش فى الجاهلية يقوم بها سدة البيت الحرام وفسر مجاهد الأزلام فى الآية بكعب (١) فارس والروم ، وسهام العرب التى يتقامرون بها .

الحكمة العامة لتحريم الاستقسام ، وحكمة تحريم بعض الأنواع

والحكمة فى تحريم بعض أنواع الاستقسام بالأزلام أنه تعظيم للأصنام ، وفى تحريم بعض منها أنه طلب لمعرفة الغيب الذى استأثر الله بعلمه ، وفى تحريم بعض منها أنه افتراء على الله تعالى بقولهم أمرنى ربى أو نهانى .

والحكمة الشاملة لجميع أنواعه أنه من الخرافات والأوهام الجاهلية التى لا تقوم على بحث أو نظر أو يقوم عليها برهان أو تؤيدها أثار من علم ، ولا تليق بالعقلاء كالنظير وغيره من فساد تفكير الجاهليين ، وضعفاء العقول ، وضلالاتهم التى أبطلها الإسلام

أسئلة وأجوبة عما يشبه الاستقسام

ونذكر بمناسبة الحديث عن الاستقسام بالأزلام الأجوبة عما جاءنا من أسئلة المواطنين فيما يمت إليه بصلة فيما يأتى تماماً للفائدة والله الهادى والموفق .

يسألنا كثير من المواطنين عن فتح الكتاب وضرب الرمل ، وقراءة الكف ، والفنجان ورأى الدين فيها .

والجواب ان فتح الكتاب ، وضرب الرمل ، وقراءة الكف والفنجان ، وضرب القداح وهو الاستقسام بالأزلام — والطاب — وكل ما يقصد به تعرف البعثة أو الطالع أو الشئ المسروق أو الضالة كل ذلك من الحديث عن الغيب الذى لا يعلمه إلا الله ، وكان العرب فى الجاهلية يصدقون بذلك ، ويسمون كل من أخبر بشئ قبل وقوعه كاهناً أو عرافاً ، وقد يفرقون بينهما فيطلقون العراف على المنجم والمخبر عن الماضى والمستقبل ، ويطلقون الكاهن على من يخبر بما خفى من .

(١) فصوص النارد — أى الطاولة — الفارسية أو الرومية .

الأمور الغيبية الماضية، وكانت الكهانة متعشية فيهم ، ومن كهانهم ، شق ، وسطيح وسواد بن قارب وغيرهم ، ومنهم من يدعى ادراك الغيب بفهم أعطيه ، وأمارات يستدل بها عليه ، ومنهم من يدعى معرفة ذلك بمقدمات اسباب يستدل بها على مواقفها من كلام من يسأله أو فعله أحواله، وقد يخصون هذا باسم العراف، ومنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن يلقي إليه الأخبار .

خرافة شياطين الشعراء

ومن هذا القبيل خرافة شياطين الشعراء : زعموا أن الاعشى كان له شيطان يساعده على قول الشعر اسمه مسحل ، وأن الشاعر عمرو بن قطن كان له تابع من الجن يدعى جهنم ، وكانا يتهاجيان فقال الاعشى بهجوه ويفضل صاحبه على صاحبه :

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له — جهنم جدعا للهجين الملمم
وزعم الشاعر ابو النجم العجلي — ان شياطين جميع الشعراء كانوا اناثا
وأن شيطانه هو وحده كان ذكرا : قال :

انى وكل شاعر من البشر — شيطانه انثى وشيطانى ذكر
وقد أكد النقاد المحدثون أن الشعراء لا يستمدون من الشياطين كما كان يعتقد العرب ، ولا من بعض الالهة كما كان يعتقد اليونان ، ولا من العرائس كما اعتقد بعض الاوروبيين القدماء ، وانما يستمدون من الاستعداد الذى فطرهم الله عليه ، والثقافة التى أخذوا انفسهم بها ،

شعراء الرسول يلهمهم الله

وإلى أن الشاعر يستمد مما طبعه الله عليه وهبأه له لا من الشياطين يشير قوله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: قل وروح القدس معك، وفى رواية أمجهم وجبريل معك رمزا لالهام الله ، وقوله صلى الله عليه وسلم لحسان وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير حين كانوا يهجون المشركين منافحة عنه صلى الله عليه وسلم: انتصروا ولا تقولوا لاحقا ولا تذكروا الاباء والامهات ، وقوله لكعب بن مالك: إن المؤمن من يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه، والذى نفسى بيده لكان ماتر موتهم به نضح (١) النبل ، ، .

(١) الرمي بالنبل أى فى فترة ايلامه لهم وعلى تشبيه توجيه الهجاء اليهم بالضح وهو فى الأصل الرش

ولما قال كعب :

جاءت سخينة (١) كى تغالب ربها

وليغلبن مغالاب الغلاب

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد مدحك الله يا كعب فى قولك هذا
أى رضيه منك ونسيبك عليه .

القرآن يسخر من تنزل الشياطين ومن يصغون اليهم

والقرآن حكى صلة الشياطين بالكهنة وسائر الافاكين ، وارهاف الافاكين سمعهم
إلى الشياطين ، واصغاءهم اليهم أشد اصغاء ، وصور ذلك على الحالة التى كانوا يعتقدونها
ونفى أن تكون لهم صلة بالوحى المحمدى ، فقال عز من قائل : وما تنزلت به الشياطين
وما ينبغى لهم وما يستطيعون ، أنهم عن السمع لمعزولون الآيات ٢١٠ - ٢١٢ من سورة
الشعراء .

وفرق بين محمد الأمين الذى لم يعرف عنه صلى الله عليه وسلم إلا الصدق والكهنة
وغيرهم من الكذابين ، وسخر من خرافة تنزل الشياطين بشئ ، ومن تنزل عليهم من
الكهنة وغيرهم ، فقال جل شأنه : هل انبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل
افاك أثم ، يلقون السمع واكثرهم كاذبون الآيات ٢٢١ - ٢٢٣ من السورة نفسها .

التوحيد الخالص وتحرير العقول والنفوس من الأوهام والخرافات

فلما جاء الإسلام دين العقل والعلم ابطل كل ذلك ، ونهى عن السحر ، والتنجيم
وزجر الطير والطيور والتشاوم ، قال تعالى فى الآية (٥٩) من سورة الأنعام : «وعنده
مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو» وقال تعالى فى الآية (١٨٨) من سورة الاعراف : «قل لا
أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وما مسنى السوء ، ان انا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون» .

(١) لقب لقريش كانت تعبر به لانها كانت تصنع الطعام المسمى سخينة : وهو طعام من دقيق وماء يشبه العصيدة الا
انه دونها فى الرقة يؤكل فى الجذب وغلاء الاسعار ، وقد مازح معاوية رضى الله عنه الأحنف بن قيس
فقال له : مالمشئ الملقف فى الجباد ؟! يريد قول الشاعر :

إذا ما مات ميت من تميم وسرك ان يعيش فجى* يزداد

بخسز أو يتمر أو بسمن أو الثى* الملقف فى الجباد .

وهو سقاء اللبن يلف فى الجباد ، وهو كساء مخطط للأعراب ليحمى ويدرك كانت تعاب به تميم قوم الاحنف
كما كانت تعاب قريش قوم معاوية بالسخينة فاجابه الأحنف على القور : سخينة يا امير المؤمنين !! ولعل
السخينة السودانية (الرشوشة) الاكلة الفقرية التى تتخذ من الماء والبصل المحمر ، وترش على الكسرة من
أطوار سخينة قريش ، وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم دخل على عمه حمزة بن عبدالمطلب فصنعت لهم
سخينة فاكلوا منها ، وفى حديث فاطمة رضى الله عنها أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ببرمة فيها سخينة
- أى طعام حار ، وهذا مما يشرفها ، ويباركها .

وقال تعالى فى الآية ٦٥ من سورة النمل : قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله ، وما يشعرون أيا ن يبعثون ، وقد اخرج البخارى ومسلم والترمذى وأحمد عن عائشة رضى الله عنها تعليقاً على هذه الآية : من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم يخبر الناس بما يكون فى غده ، وفى بعض الروايات يعلم ما فى غد فقد اعظم على الله الفرية ، والله تعالى يقول : قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله (١)

وقال تعالى : حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتريفة والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق الآية ٣ من سورة المائدة .
وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أتى كاهناً أو عرافاً فصداقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ، وفى رواية من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً فعصداقه فقد برئ مما أنزل على محمد ، ومن أتاه غير مصدق لم تقبل صلاته اربعين يوماً ولا غرابة فى هذا فان من اهم مقاصد الإسلام صلاح حياة الناس العقلية والنفسية بالدعوة إلى التوحيد الخالص ، وكمال العلم والمعرفة وتحريرهم من رقة الجهل ، والاهوام والخرافات .

ويسألنا بعض المواطنين عن الأحجية وراى الدين فى لبسها ؟

والجواب أن ما يلبسه العامة ويسمونه بالحجاب ويجمعونه على حجابات هو من قبيل التمايم — جمع تميمة وهى فى الاصل خرزات وما يشبهها كانت تعلقها العرب على اولادها يتقون بها العين أو الارواح الشريرة فى زعمهم .

فلما جاء الاسلام أبطل ذلك روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : من علق شيئاً وكل اليه ، (٣) وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه رأى على أم ولده تميمة مربوطة بعصدها — فى نفس المكان الذى يلبس فيه بعضى المواطنين الأحجية — فجذبها جذباً عنيفاً فقطعها :

ومن الحديث ومن هذا الذى روى عن ابن مسعود أخذ كثير من العلماء عدم جواز تعليق الأحجية والتمايم والرقى على الأطفال وغيرهم ، وأجازها بعضهم وقال : نها

(١) ومصدق ذلك أنه أمر فى آية الاعراف السابقة أن يعلن أنه لا يملك نفعا ولا ضرا ولا يعم الغيب مستدلا

بأنه لو كان يعلم الغيب لا سكت عن الخير ، واحتاط من سوء واقفاه فلم يمسكه لكن ذلك لم يكن .

(٢) أى تطلبوا بذلك أن تعرفوا ما قسم لكم فى المستقبل ، وقد تقدم الكلام على الآية .

(٣) أى فى حفظه ونفعه وهو لا يحفظه ولا ينفعه .

من الطب الروحاني والعلاج النفساني الذي يعترف به الآن علم الطب الحديث غير أن من أجازها من علماء المسلمين اشتهروا :-

- ١ - ان تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته .
- ٢ - وأن تكون باللغة العربية أو بما يفهم معناه لا بالطلسمات (١) التي يلجأ إليها بعض الدجالين الآن .

٣ - وأن يعتقد لابسها أنها لا تؤثر هي ولا كتابتها ولا كاتبها ، وإنما المؤثر هو الله وعندى ان هذه الشروط لا تكاد تتحقق فالواجب تركها .

وان تحققت فهي علاج منهي عنه اما الرقية وهي ما يقرأ على المملوغ أو المريض ليخف الله أو ببرأ منه فهي غير منهي عنها اذا تحققت فيها الشروط ، لما ورد فيها من الحديث إلا ان الافضل تركها لمنافاتها للتوكل اخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم : فيما رواه الأئمة احمد والبخارى ومسلم وغيرهم من حديث ابن عباس وغيره مرفوعاً بالفاظ مختلفة منها : يدخل الجنة من امة سبعون الفا بغير حساب . هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ولا يعتاقون ولا يكتنون وعلى ربهم يتوكلون ، ويؤيد ذلك ما رواه الأئمة : احمد في مسنده وابوداود وابن ماجه في المستدرك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الرقى والتمائم والتولة شرك قال الطيبي : المراد بالشرك اعتقاد أن ذلك سبب قوى وله تأثير وذلك ينافي التوكل والانخراط في زمرة الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون .

وما رواه الطبراني في الكبير : ثلاثة من السحر : الرقى ، والتول ، والتمائم

الحصن الحصين والعلاج الناجع

والاولى ان يتحصن المسلم بتلاوة ما هو خير مما يكتب في الاحجية والتمائم أو هو خير مما يكتب فيها ، ويفهم معناه ويتحقق باعتقاده ، ويؤكد ايمانه بان الله واحد لا شريك له لا يسوق الخير الا هو ، ولا يكشف السوء الا هو ولا يعلم الغيب الا هو ، هو الضار النافع والخالق الرازق : - قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٢) ، وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضلته يصيب به من يشاء من عباده ، وهو الغفور الرحيم (٣) ، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا

(١) الطلسم بكسر الطاء وفتح اللام مخففة ، وفتحتها مشددة ويجمع على طلسم وطلسمات كلمة من الدخيل ، وهي خطوط أو كتابة يستعملها السحرة يزعمون انهم يدفعون بها كل مؤذ .

(٢) الآية ٥١ من سورة التوبة .

(٣) الآية ١٠٧ من سورة يونس .

ممسك لها ، وما يمسكك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم (١) ، قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله ، عليه يتوكل المتوكلون (٢) ، وما من دابة في الارض الا على رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل في كتاب مبين (٣) ، إني توكلت على الله ربي وربكم ، ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ، ان ربي على صراط مستقيم (٤) ، وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم ، وهو السميع العليم (٥) .

فباستحضار مثل هذه الآيات من كتاب الله شفاء لما في الصدور ، وباستيقانها ومناجاة الله بها تزكو النفس ، وتسمو الروح ، وتحرر الارادة ، ويحيا القلب ويتكيف الشعور ، ويصح العقل ، وتنحل العقدة بمجرد جعلها حبرا على ورق ، والاعتقاد في هيكها الجامد .

ويسالون عن اليانصيب هل هو من الميسر ؟ !

اليانصيب بأوراقه التي تشبه الأوراق المالية وعلى كل ورقة منها رقمها الخاص ، وقيم الجوائز المقدرة للأوراق التي ستربح من الأولى إلى الأخيرة ، والتي جرت بعض الهيئات على اصدارها وتوزيعها على الناس بثمن معين لكل ورقة مكتوب عليها على أن يكون جزء من ثمن المبيع منها للجمعية والجزء الآخر لأصحاب الأوراق الراجعة وهم عدد قليل من دافعي المال هو من أنواع القمار المحرم مهما يكن الغرض منه ، لأن فيه عند الربح اكلا لأموال الناس بالباطل أى بغير عوض حقيقى من ذات أو منفعة ، وعند الخسارة اضاءة مال مملوك حقيقة على وجه اليقين فى سبيل ربح موهوم .

ويكاد اليانصيب الحديث يتفق مع نوع الميسر القديم الذى كانت تقارفه العرب فى الجاهلية بسهام عشرة بمثابة هذه الأوراق ، يجعلون لسبعة منها نصيبا معلوما من لحم ناقة ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء ، ولا يجعلون لثلاثة منها نصيبا كالأوراق الراجعة وغير الراجعة ثم يجعلون هذه السهام فى كيس أو ظرف ، ويضعونها فى يدى شخص منهم عدل يهرز الكيس ثم يدخل يده ويخرج باسم رجل من اللاعبين سهمها منها ثم باسم آخر سهمها آخر

(١) الآية ٢ من سورة فاطر .

(٢) الآية ٢٨ من سورة الزمر .

(٣) الآية ٦ من سورة هود .

(٤) الآية ٥٦ من نفس السورة .

(٥) الآية ٦٠ من سورة التكبوت .

وهكذا فمن خرج له سهم ذو نصيب أخذ نصيبه ، ومن خرج له سهم لانهصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الناقة ، وكانوا يدفعون مايربحون من لحم الناقة إلى الفراء ولاياكلون منه شيئا ، ويفتخرون بذلك ، ويدعون من لم يشترك في هذه المقامرة ويسمونه البرم (١) فهو لغرض خيوى ايضا .

طريقة ميسر اليا نصيب الحديثة

وطريقة عملية اليا نصيب أن يتخذ المشرفون على ادارته قطعاً صغيرة من المعدن ينقش على كل منها رقم بعدد الأوراق المعروضة للبيع ، وتوضع هذه القطع المعدنية في وعاء من المعدن كروى الشكل مثل خريطة الأرقام في الميسر القديم عند العرب ، وفي هذا الوعاء ثقب كلما ادير مرة خرجت منه قطعة من تلك القطع المرقومة المسددة بالنمر ، فاذا كان يرم السحب ادير مرات بتعدد النمر الراجعة ، فما خرج منه أولاً سمي النمرة الأولى مهما يكن الرقم الذي عليها ، وهي التي يعطى حاملها النصيب الأكبر من المبلغ الذي خصص للنمر الراجعة ، كالقذح المعلى في ميسر العرب قديماً ، وما خرج منه ثانياً ، سمي النمرة الثانية ويعطى حاملها النصيب الذي يلي النصيب الأكبر ، كالسبل الذي يلي نصيبه في القيمة نصيب المعلى وهكذا حتى ينتهي عدد النمر الراجعة فيقف السحب عند ذلك ويكون الباقي من النمر الخاسرة .

وواضح جداً أن في كل من العمليتين رابحاً وخاسراً وجهة متفجرة ، وإن الأوراق في يانصيب بمنزلة السهام في ميسر العرب ، وإن كلا منهما تشتمل على منفعة وضررة : ويظهر بقليل من التأمل أن الضرر أكثر من النفع لما يترتب على ذلك غالباً من خسومات ومنازعات قد تؤدي إلى إراقة الدماء ، ومن تزوير وغش ، وافساد للتربية والاخلاق بتعويد النفس الكسل وانتظار الرزق من الطرق الوهمية ، واهمال طرق الكسب الطبيعية من الزراعة والصناعة والتجارة التي عليها قوام الحياة وبقاء العمران .

وفي التبرع للأعمال الخيرية وقفا أو هبة أو صدقة مما يكون التبرع فيه أوجه الله وحده دون قصد الربح من وراء ذلك متسع ، وهي طريقة الاحسان الشرعية ، فإن الله طيب لا قبل الا طيباً ، وهو اغنى الشريكين ، وقد قامت في السودان مؤسسات علمية واقتصادية وصحية على التبرعات ما قلل منها أو كثر بطريق الاحسان الخالص ، كملجأ القرش ، والمدارس الاهلية ، والمصححات وغيرها فلمثل هذا فليعمل العاملون .

(١) وهو في اللغة البخيل القنيم .

وجاءنا السؤال الآتى من بعض المواطنين : الهيئات الى يبيع اليانصيب تجمع ثمن مائتيه من هذه التذاكر ثم تنفقه فى الاعمال الخيرية ، فهل يجعل ذلك الاشتراك فى اليانصيب جائزا ؟ وماحكم اتفاق ماجمع من هذه التذاكر على الاعمال الخيرية ؟

والجواب :

ان اتفاق الهيئات التى تبيع اليانصيب ماجمعه من تذاكر اليانصيب فى الاعمال الخيرية لا يثبت الاشتراك فى اليانصيب جائزا شرعا ، لانه يشترى التذاكر ، ولا للهيئات التى تبيعها . وعلى الذين يجمعون أموال الناس أو يكسبونها من طريق اليانصيب ان يردوها إلى اصحابها أو الى ورثتهم ان تمكنوا من ذلك ، والا تصدقوا بها عنهم ، والأعمال الخيرية من قبيل الصدقة فلا بأس باتفاق ماجمع بوجه غير شرعى عليها صدقة عن أصحابه الذين لم يسكن وده اليهم .

وجاءنا السؤال الآتى من مواطن بالأبيض لم يذكر عنوانه :

اذا كان الرجل مبلغ من المال ، وكان مصدر المال من حرام مثل القمار والسرقة . طال الزمن عليه ، وتاجر الرجل بهذا المال حتى صار مبلغ سبعين جنيها ، وأراد الرجل أن يفعل بالمال خيرا مثل أطعام المساكين والفقراء ، ومع ذلك كان ولا يزال يركبه عند مرور السنة ، ومضى على هذا الرجل عشر سنوات وهو نائب من أى عمل حرام ، فهل يحل لهذا الرجل ماله الذى كان مصدره حراما ؟

الجواب :

المال المكتسب من سرقة أو قمار أو ربا أو أية وسيلة محرمة يجب رده لأصحابه اذا كانوا أحياء معلومين ، فان لم يكونوا كذلك وجب رده لورثتهم ان عرفوا ، فان لم يعرفوا وجب التصديق به عن أصحابه .

وأما الربح الذى يستفاد من هذا المال فقد اختلف الفقهاء فيه : فقال بعضهم : هو لمن استثمره ، لأنه نتيجة عمله وجهده ، وعليه زكاته اذا توافرت شروط زكاته ، وقال بعضهم : هو لصاحب المال ، وعليه رده مع أصله لصاحبه ، وأرى أن هذا هو الأبرأ للذمة .

وأما التوبة النصوح فانها تنفع صاحبها فى تكفير ذنب الاقدام على اكتساب المال من طريق حرام ، ولكنها لا يصير بها المال المكتسب من الحرام حلالا ، كما لا يصير حلالا بمرور وقت على اكتسابه ، وان طال ، والله المأدب الى سبيل الرشاد .

أثر الاسلام فى ابطال الخرافة والأوهام

ولقد أثرت هداية القرآن الكريم مع بيان الستة المطهرة فى المسلمين ، وفعلت فعلها المعجز ، فسرعان ما تأثروا وانفعلت نفوسهم وتكيفت عقولهم ، وعرفوا الحق من الباطل ، وأخذوا يسخرون من الانصاب والازلام ، والطرق بالحصى ، وضرب القداح على السرى ومن الطمع فى معرفة الغيب بالكهانة ، والعراقة والعيافة (١) وزجر الطير .

فهذا عمر رضى الله عنه يدرك بشاعة الخمر من بشاعة الاستقسام بالازلام عندما قرئت فى آية المائدة بالانصاب والازلام فيقول مخاطبا الخمر - كما قدمنا - ناذرا مشمئرا :
أقرنت بالانصاب والازلام بعدا لك وسحقا ١٩ . .

وهذا لبيد المخضرم الذى تداركه الله فكساه من الاسلام سربالا يقول :-

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع
وهذا هو المعتصم العباسى بنوى غزو همورية فيظهر نجم كبير فيحطره المنجمون
من الغزو ويتشاءمون بظهوره ، فلا يعبا بخرافات المنجمين ولا بكتب التنجيم ، ويقدم على
غزوها ويفتحها ، لأنه كان مؤمنا متأثرا بتعاليم الاسلام .

وفى ذلك يقول أبو تمام قصيدته المشهورة :-

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد والسحب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى متونهن جلاء الشك والريب

وهذا البحتري يقول :

ذرينى من ضرب القداح على السرى فعزى لا يثنيه نحس ولا سعد

(١) التطير والعيافة : زجر الطير لانشاؤم بطيرانه ان طار جهة الشمال أو التفاؤل به ان طار جهة اليمين . وبالألفاظ
كقول الشاعر يتشأم على هذا النحو :

الاقدهاجنى فازددت وجدا	بكاء حمامتين تجاوبان
تجاوبتا بلعن اعجمى	على غصنين من غرب وبان
فكان البان ان بانى سليمى	وفى الغرب اغتراب غير دان

والغرب بالعريك نوع من الشجر ، وله فرق بعضهم بين التطير والعيافة : بان التطير بزجر الطير ، والعيافة
بالألفاظ .

ويقول آخر :

فلا السعد يقضى به المشتري ولا النحس يقضى علينا زحل
ولكنه حكم رب السماء وقاضى القضاة تعالى وجل

وسائل معقولة للترجيح بين أمرين عند التردد

ولما كان الانسان قد تملكه الحيرة ، ويأخذ منه التردد كل مأخذ حين يريد أن
يقدم على أمر لا يعرف هل الخير في فعله أو تركه ، كما أوضح ذلك القائل :
ولا أدري اذا يمت أرضا أريد الخير أيهما يلينى ؟
أالخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى هو يبتغينى ؟

الشورى

فقد أرشد الله تعالى الى الوسيلة المعقولة للترجيح بين الاقدام والاحجام ، وهى الشورى
وامضاء ما يترجح بها بعد تصميم العزم ، واعداد العدة ، والتوكل على الله الذى لا يتم شئ
لا بتوقيفه أسوة برسوله صلى الله عليه وسلم الذى أمره بذلك ، فقال عز وجل : وشاورهم
فى الأمر ، فإذا عزممت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين الآية ١٥٩ من سورة آل عمران
وهدته السنة المطهرة الى الوسيلة التى تليق بالمؤمن الموحد الذى لا يشرك بالله شيئا ،
« وهى الاستخارة الشرعية التى هى توجه الى الله تعالى بالصلاة والدعاء أن يختار له خير أمره
التجاء اليه عز جنابه ، واستجارة به وهو يجير ولا يجار عليه .

ويختار ولا يختار عليه ، ان يرشده الى ما هو خير له في دينه وديناه من قصديه ، ويدفع ما هو شر ، ويسر له الخير حيث كان فيهما أو في غيرهما ، ويرضيه به .

الاستخارة الشرعية

روى الامام أحمد والشيخان وأصحاب السنن من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم اني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي ، وعاجل أمري وآجله فاقدره لي ، ويسره لي ثم بارك لي فيه ، وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي ، وعاجل أمري وآجله فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، وأقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به . قال : ويسمى حاجته اه .

ولا مناسبة بين هذا العمل الايماني والتوحيدي وبين خرافة الاستقسام بالزلام ، وما اليها من الاباطيل والاهوام الجاهلية .

القرعة وخلاف الامام أبي حنيفة

وكما ان الاستخارة لا تمت الى الخرافة بصلة كذلك القرعة التي وردت بها الأحاديث . وأشارت بعض آيات القرآن الى وقوعها من يونس (١) وزكريا عليهما السلام .

وهي سنة عند جمهور الفقهاء ، لأنها انما تكون للترجيح بين المتساويين قهراً . كأنقسمة بين اثنين حيث لا وجه لالزام من تقسم بينهما بأن يأخذ زيد منهما هذه الحصصة ، وعمرو الحصصة الأخرى ، فتكون القرعة في هذه الحالة عادلة معقولة تحسم الأشكال ، وترفع الخلاف بمن يقسم ، ويرضى بها المقسمان ، وتطمئن قلوبهم جميعاً .

ومع ذلك فقد رفضها أبو حنيفة رضى الله عنه وأصحابه ، وردوا الأحاديث التي وردت بها : وروى أن الامام أبا حنيفة وان لم تصح عنده عن طريق التماس فقد قبلها من طريق ما ورد بها من السنة المظهره .

(١) قال تعالى عن يونس : فسأهم فكان من المدحنيين ، الآية ١٤١ من سورة الصافات وقال تعالى عن كفالة

زكريا لمريم : وما كنت لديهم اذ يللقون اقلامهم أيهم يكفل مريم الآية ٤٤ من سورة آل عمران .

تعريف الاسلام بالكتاب والسنة الصحيحة

فاذا انتكس سواد المسلمين بعد هذه العافية ، وتردوا في مهاوى الاوهام والاباطيل التي انهضهم دين العقل والعلم ، وانتشلهم منها ، واذا استهوتهم الشياطين واستعبدتهم الاهواء ، وانحرفت بهم الجهالات الى تنرف القيب واستطلاع الطالع ومعرفة البخت والمستقبل بما يشبه الازلام من فتح الكتاب ، وضرب الرمل ، وقراءة الكف ، والفنجان ، الاستعانة فيما وراء الاسباب العادية والسنن الكونية بمن مثله مثل الكهنة والعرافين في العجز عن اعانتهم من الدجالين ، وادعاء السلطة الغيبية بعد ما حررهم من ذلك دين العقل والحرية .

واذا ذهبت بوحدتهم وتكافلهم التناؤد الفاسدة ، واتبعوا السبل ففرقت بهم عن سبيل الله ، واوقعت بينهم العداوة والبغضاء بعد ان الف بين قلوبهم ، ووحدهم دين التوحيد والوحدة ، واصبحوا بذلك حجة على الاسلام عند من لم يلزم بالاسلام ، ويعرف عقائده ومقاصده ، وأحكامه وحكمه فالتصير منهم ، والمسئولية عليهم ، والذنب ذنبهم .

ومن اراد ان يعرف الاسلام فالانصاف ان يعرفه بكتابه ، وهدى نبيه لا بسواد المسلمين وعامتهم الآن .

السباق

السباق

من الرفق بالحيوان الذى اوجبه الشريعة الاسلامية الا يعذب الحيوان ، فلا يحل ارهاقه بحمل الاثقال الثقيلة التى لا طاقة له بحملها ، ولا بالسير المتواصل الى المسافات الطويلة حتى يعطب ، ولا يدفعه الى الجرى الزائد على قدرته (١) ، ولكن ابيحت المسابقة بين الخيل بعضها مع بعض أو بينها وبين الجمال أو بين الجمال بعضها مع بعض ، ومثل الخيل كل ذى حافر كالبغال والحمير ، ومثل الجمال كل ذى خف كالفيل ، لان فى المسابقة عليها مرانا على الجهاد فى سبيل الله ، والدفاع عن الاوطان ، ورد العدوان . كما ابيح اخذ الجمل فى المسابقة ، وهى رهان ترجيحاً لمنفعتها العامة التى تقتضيها وهى التدريب على الجهاد والدفاع .

والمسابقة عند المالكية والشافعية تكون واجبة ان توقف عليها الجهاد والدفاع عن الدين والبلاد ، وتكون مندوبة ان توقفت عايتها البراعة فى الجهاد ، وتباح ان لم يتوقف عليها شئ من ذلك .

شروط المسابقة المباحة

وقد اشترط فى المسابقة أن يكون السبق (بفتح السين والباء) وهو الجائزة التى تكون لصاحب الفرس السابق اما من الامام (رئيس الدولة) أو من متبرع به غــسير المتسابقين ، وفى هذه الحالة لا خلاف بين الفقهاء فى جوازها ، واما من احد المتسابقين على أنه أن سبقه غيره أخذ السابق الجمل ، والا يسبقه غيره فالجمل لمن حضروا ، ولا يرجع اليه عند المالكية . وقد أجازها فى هذه الحالة جمهور الفقهاء لعدم شبهها بالقمار ومنعها بعضهم .

فان اخرج كل من المتسابقين مالا معيناً يأخذه من سبق منهما فلا تجوز ، لأنها تكون قماراً حينئذ الا اذا دخل معهما شخص ثالث فى المسابقة ، ويسمى محملاً فانها تجسوز ثم ان سبقهما المحلل اخذ العوض الذى اخرجاه ، اما اذا سبقاه فانه لا يعطيهما شيئاً ، ولا شئ فى هذه الحالة لاحدهما على الآخر ان لم يسبق أحدهما الآخر ، فان سبق أحدهما فمال السابق لنفسه ، ويأخذ ما اخرجاه الآخر عند الشافعية ، ومنعه آخرون .

(١) وحتى فيما اقتضته حكمة الله تعالى البالغة من مفاضلة بين مراتب الحياة فى الانسان والحيوان والنبات وتسخير النبات والحيوان والانسان غداء ، وتسخير الحيوان للانسان غداء أمرت الشريعة بالرفق به فى الذبح ، فقال صلى الله عليه وسلم : ان الله كتب الاحسان فى كل شئ ، فاذا قاتم فاحسوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليجد أحدكم شجرة ولا يرج ذبيحته .

كما اشترط ان تكون المسابقة معروفة الابتداء والانتهاء ، وأن يكون عند اول المسافة من يشاهد بدء الجرى فى وقت واحد ، وعند الغاية من يضبط السابق منهما ، لئلا يختلف فى ذلك ، وان تكون المسافة معلومة ، والجائزة معلومة ، والفرسان او الافراس معينة وان يكون كل من الفرسين او الافراس يحتمل ان يسبق والا يسبق ، وهذا متوفر فى سباق الخيل المتعارف الآن .

ومن دقة السلف فى الحكم بالسبق انهم يبنونه فى الابل على السبق بالاكثاف لا بالاعناق لأنها ترفع اعناقها عند الجرى فلا يتضح السبق بها ، وكذلك يبنونه فى مختلف الأعناق كالخيل مع الجمال على السبق بالاكثاف ، أما فى متمائل الاعناق كالخيل مع الخيل فيبنونه على السبق بالرعوس ، وهذا فى المتلاحقين أما اذا كانت المسافة بينهما واسعة فيعرف السبق من غير حاجة الى ذلك .

الرسول يسابق فيسبق ويسبق (١)

روى الامام احمد عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم سابق بالخيل وراهن ، وفى رواية سابق بالخيل واعطى السابق ، وفى رواية سابق بين الخيل المضمرة (٢) ، وروى من حديث انس - وقد قيل له : أكنتم تراهنون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراهن ؟؟ انه قال : نعم والله لقد راهن على فرس يقال له : سبعة فسبق الناس فبهش أى هش وفرح لذلك واعجبه .

(١) وسيأتى ذلك صريحا فى حديث عائشة رضى الله عنها عن مسابقته صلى الله عليه وسلم أيضا فى العدو .

(٢) ضم الفرس تعهد فلفه حتى صيره ضامرا هضم البطن لطيف الجسم .

وصبح انه صلى الله عليه وسلم كان يسابق على ناقته العضباء (١) وكانت لا تسبق. وقد سبقت مرة فاشتد ذلك على المسلمين ، وقالوا: سبقت العضباء! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسماحته في كل شيء ، وسماحته الرياضية: ان حقاً على الله الا يرفع شيئاً من الدنيا الا وضعه.

وروى الشافعي وأحمد وأصحاب السنن من طرق عن ابى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا سبقي الا في خف أو حافر أو نصل، والمراد بالنصل السهم عبر عن السهم بحديثه الجارحة ، لأنها أهم شيء فيه ، المسمى (الشيش)

الرسول يقر المبارزة

وقد أقر صلى الله عليه وسلم (٢) المبارزة . فعن ابى هريرة رضى الله عنه قال: بينما الحبيشة يأتون عند النبي صلى الله عليه وسلم بحراهم دخل عمر فأهوى الى الحصباء فحصبهم بها !! فقال صلى الله عليه وسلم: دعهم ياعمرو. ويفسر آية القوة وينوه بما للرعى من شأن

ويقاس على الرمي بالسهم في هذا العصر الرمي برصاص البنادق والمسدسات ، وقذائف المدافع والصواريخ وغيرها ، فهو مأمور بتعلمه مثل ما لتعلم الرمي بالسهم من الفقهل والجزاء الحسن بل هو من إعداد القوة الداخل في عموم قوله تعالى: وأعدوا! لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لاتظلمون. (الآية ٦٠) من سورة الأنفال . أى حتى لا يطمعوا فيكم ويستضعفوكم فيحتدوا عليكم . وقد كان اعداء الله وأعداؤهم يتحرشون ويتربصون بهم الدوائر ، ويعنى هذا ما يسمى بالسلام المسلح في عصرنا الحاضر ، وقد فسر صلى الله عليه وسلم القوة بالرمي فقال مؤكدا: الا ان القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي ، الا أن القوة الرمي

وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، لأن التطور في آلات الجهاد الذي بلغ حد الهول المائل كان في وسائل الرمي وما يرمى به ، وقد مر صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم يتضلمون بالسوق (٣) فقال : ارموا يابنى اسماعيل فان أباكم كان رامياً ، ارموا

(١) الناقة العضباء : المشقوقة الأذن ولم تكن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم مشقوقة الأذن ولكن لقبها هكذا العضباء والاسماء لا تعلل .

(٢) المبارزة والبراز الخروج للقتال والمراد اللعب بالحرايب .

(٣) النضال والمناضلة والتناضل والا تنضال المباراة والمغالبة في الرمي بالسهم .

وأنا مع بنى فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال لهم الرسول : ما لكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال : ارموا وأنا معكم جميعاً ..

وخلاصة معنى هذه الآية العظيمة التى نعيشه مع اسرائيل ومن وراءها ان الله سبحانه وتعالى كان ولا يزال يأمر المسلمين أن يستعدوا للحرب التى لا مندوحة منها مع أعدائه وأعداء الإسلام والمسلمين لدفع عدوانهم بشيئين ، (١) الأول اعداد جميع أسباب القوة التى يستطيعون الحصول عليها منبها مختلف باختلاف العصر وسر وتطور العتاد الحربى بتقديم العلوم المادية وقوة الأعداء

(٢) والثانى اليقظة الدائمة والاحتياط الواعى بمرباطة الجنود فى الثغور وعلى حدود البلاد وجبهات القتال وأيديهم على السلاح فرسانا على الخيل أو ركباناً على الدبابات والطائرات والأساطيل أو مشاة لأرهاب أعداء الله وأعدائهم المجاهدين بعداداتهم ، ومن وراءهم ممن يعاونهم فى الخفاء ويتسترون بالمكر والخديعة الذين لا يعلمونهم ولكن الله يعلم اساليبهم فى إغائتهم ونصرتهم ، ويعلم أعداء آخرين لانقاذهم : ويرشدنا إلى التأهب لمواجهة هؤلاء وأولئك جميعاً ويعدنا بأن كل ما نفق فى سبيل ذلك من نفس ومال نعطاه وافياً غير منقوص هو مولانا ونعم النصير .

آلية تفتح الباب لكل رياضة تكسب القوة والمنعة

وقد أجاز الفقهاء بوحى من هذه الآية ، وهذا الروح المسابقة بتخير عوض بكل نافع فى الحرب ، وكل ما يفيد القوة فيها ، والاستعداد لها ، فيجوز بالسفن الشراعية والزوارق ، ، والسفن البخارية ، والأساطيل ، والغواصات ، والطائرات والمناطيد والدبابات ، والسيارات ، والجري على الأقدام .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى أصحابه يتسابقون جرياً على الأقدام فيقرئهم عليه ، وقد صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ثم سابقنى فسبقنى ، فقال : هذه بتلك !! .

وقد استدل العلماء بذلك على مشروعية المسابقة بين الرجال ، وبين النساء والرجال المحارم فى رياضة الجرى ، وعلى أنها لاتنافى الوقار ولاشرف العلم والفضل ولاتتقيد بالسن : وحسبكم جلالة قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسابقته لعائشة أم المؤمنين وهو فوق الخمسين سنة .

بل أجاز هذا الشافعية بعوض أيضا لانه من الرياضة البدنية المقوية على القتال وغيره.
من الأعمال الشاقة التي تستلزم الشجاعة ، واجازوا المصارعة .

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم صارع رجلا معروفا بالقوة فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : عاودني في أخرى فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم في الثانية ، فقال : عاودني فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم الثالثة — وظن الرجل أن النبي صلى الله عليه وسلم سيأخذ العوض من غنمه فقال : ماذا أقول لأهلي ؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة نشزت فداذا أقول في الثالثة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرمك ، خذ غنمك .

الدربى حكمه وأضراره

وأما سباق الخيل المتعارف الآن — الدربى وغيره — الذي يرتاده هواه ويشتركون فيه بشراء أوراق كأوراق اليانصيب يتراهنون بها على الذي يسبق من خيل السباق ، تربح هذه الأوراق نارة وتخسر تارات فسباق الخيل في ذاته لا شيء فيه بل هو شيء حسن ، ولكن المراهنة على الخيل ضرب من ضروب القمار المحرم يشترك مع سائر أنواع القمار في أكل أموال الناس بالباطل عند الربح ، وإضاعة المال المملوك حقيقة في سبيل الربح الموهوم عند الخسارة ، وإفساد التربية والأخلاق بتعريض النفس الكسل ، وانتظار الرزق من العلوق الوهمية ، والانصراف عن العمل النافع ، وغير ذلك من مفاصد القمار ، وكذلك الجوائز التي يأخذها أصحاب الخيل الرابحة في هذا النوع من السباق حرام . لأنها تعطى من أرباح القمار ، ولولا ذلك لحلت كما في السباق الجائز شرعاً .

فيا هذا لو سلكنا بهذه الرياضة الخطيئة النفع في ذاتها المسلك الشرعى وطهرناها من الملايسات المحرمة . والله الموفق ، ،

ولنختم الحديث عن الميسر والانصباب والازلام واليانصيب وسباق الخيل . بتفسير الآية الكريمة الآتية العامة في النهى عن اكل أموال الناس بلون مقابل شيء حقيقي يعتد به أو رضا منهم سواء أكان في هذه المعاملات الفاسدة المحظورة أم غيرها ، والتي تنهى أن يكسب الإنسان المال من الطرق غير المشروعة التي تضر بنيره كما انه منهى أن ينقصه في غير وجهه الصحيح النافع الذي لا يضر به ، ولا يمن يعول ، ولا يمجتمعه

« بسم الله الرحمن الرحيم »

قال تعالى : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون (الآية ١٨٨ من سورة البقرة) .
كانت الآيات السابقة فى الاحكام العملية ، واحكام الصيام ، وفيها النهى عن أكل الانسان مال نفسه فى وقت دون وقت ، وقد اشار تعالى الى تلك الاحكام ، وسماها حدودا ، ونهى عن قربها ثم قال تعالى :

ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية : — فنهى عن أكل الانسان مال غيره بغير حق ، والمراد بالاكل المنهى عنه مطلق الاخذ ، والتعبير عن الاخذ بالأكل مجاز معروف فى اللغة ، مألوف للمخاطبين قبل نزول القرآن وبعده الى اليوم ، ووجه هذا المجازان الأكل لتقويم البنية اهم حاجات الناس الى أخذ المال ، وأشدّها وأعظمها ، فتجوز به عنه ، وأكثر ما يستعمل أكل المال فى مقام أخذه بالباطل ، وقد يستعمل فى غيره ، وفى الآية الآتية الاستعمالان : وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ، الآية ٦ من سورة النساء .

والمراد لا يأكل بعضكم مال بعض ، وانما اختير لفظ أموالكم للشعار بتكافل الأمة ووحدة الاقتصادية وغيرها ، وللتنبية على ان احترام الانسان مال غيره وحفظه فيه احترام وحفظ لماله ، لأن استحلال مال غيره يجرى غيره على استحلال اكل ماله عند الاستطاعة ، ويذهب بجرمته ، ويحمل على استباحته .

معنى الباطل وانواعه : — وأما الباطل فهو ما لم يكن فى مقابلة شئ حقيقى ، وهو من البطلان بمعنى الضياع والخسارة ، وقد حرمت الشريعة الاسلامية اخذ الانسان مال غيره بدون مقابل حقيقى يعتد به ، أو رضا ممن يأخذ منه ، كما حرمت انفاق الانسان ماله ، فى غير وجه حقيقى نافع .

ويدخل فى الأول الربا ، لأنه أكل أموال الناس بدون مقابل ، وتدخل السرقة والغصب ، سواء أكان غصبا لمال أم لمنفعة ، ومن اعظم ذلك أن يستأجر الانسان عاملا فى عمل لا يعطيه عليه اجرا أو ينقصه عن الاجر المسمى المتفق عليه بينهما أو من أجر مثله .

روى البخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(ثلاثة — قال الله تعالى : أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته : رجل

أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه .

ويدخل فيه الغش والاحتيال وما يفعله بعض البائعين من إيهام المشتري مالا حقيقة له ترويحاً لسلعته بحيث لو عرف المشتري الحقيقة ما اشترى ، وما يفعله السماسرة من التليس والتدليس حيث يزينون للناس السلع الرديئة والبضائع المزجاة فيسورطونهم بذلك وبالإيمان الفاجرة في شرائها ، روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكهم ، ولهم عذاب اليم : : المسيل (١) أزاره ، والمنان الذى لا يعطى شيئاً الا منه ، والمنفق سلعته بالخلف الكاذب ويدخل فيه ايضاً بيع الثولات جمع تولة (٢) وهى ماتحملة المرأة ليحبها زوجها ، وبيع التائم ، والعزائم والتناجيس (٣) وهى ما يحمل للوقاية من العين أو لانفاق التجارة ، أو لكسب القبول من الناس أو للحفاظ من الشياطين ، من الخرز والعروق والعظام وخرقة الخائض ونحو ذلك من العزائم والبخرات (وعدية يس) لقضاء الحاجات أو لرحمة الاموات ، وعلى الجملة كل أجر يؤخذ على أداء عبادة فهو أكل لاموال الناس بالباطل لم يعرف عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الذين أتبعوهم ولا يوجده فى كلامهم ما يشعر به ، وقد فرق بعض الفقهاء بين قراءة القرآن وتعليمه فأجاز الأجرة على تعليمه كتعليم العلم حتى يفرغ لذلك معلم القرآن عن الاشتغال بغيره فيقتنه ويجد ما يقيم أوده

ويدخل فيه أخذ الغنى أو القادر على الكسب الصدقة ، كما يفعل محترفو التسول فلا يحل لمسلم أن يقبل صدقة وهو غير مضطر إليها ، ولا للمضطر إليها أن يقبلها الا إذا كان عاجزاً عن إزالة اضطرابه بسعيه وكسبه ، قال صلى الله عليه وسلم ، (لا تجوز الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى) (٤) .

(١) المرعى ثوبه المطيله .

(٢) كهمة وعنية وزتا وهى ن خرز ، ولعل التيلة التى تلبسها المرأة عندنا للريئة نى عنها تحريف لهذه الكلمة والزينة سبب معقول لحب الزوج لا سحرى وهى .

(٣) جميع تنجيس من نجسه اذا عوده : قال ثعلب قلت لابن الاعرابى : لم قيل للمعوذ منجس وهو مأخوذ من النجاسة؟ فقال : ان العرب افعلوا تخالفت معانيها الفاظها يقال فلان تنجس اذا فعل فعلاً يخرج به من النجاسة كما قيل يتأثم ويتحرج ويتحنث اذا فعل فعلاً يخرج به من الاثم والحرث والحنث .

(٤) قوى سليم الاعضاء .

ويدخل فيه أخيراً وليس آخرها الرشوة بتقليد الرء ، والجمع رشا ورشا بضم الرء وكسرها ، وهى ما يعطى لابطال حق أو استئاق باطل ، من الرشا بكسر الرء وهو الحبل الذى يتوصل به إلى غرض من الأغراض أو حبل الدلو خاصة الذى يتوصل به إلى ماء البئر كأنها حبل وسبب يتوصل به إلى ذلك : قال الامام ابوبكر الجصاص عند تفسير قوله تعالى : سماعون للكذب اكالون للسحت فى كتابه أحكام القرآن : . اتفق جميع المتأولين لهذه الآية على ان قبول الرشا حرام ، واتفقوا على أنه من السحت الذى حرمه الله تعالى اه وهى تنقسم إلى ثلاثة أقسام :-

الأول ما يحرم على الآخذ والدافع والوسيط ان وجد جميعا ، وهو الرشوة على تقايد الوظائف العامة فى الدولة كالتضاء والامارة وسائر الوظائف الحكومية ، ويدخل فى هذا النوع ما يدفع للقضاء والحكام ليحكموا للدافع ، وهو واضح من قوله تعالى : ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون روى الامام احمد عن عبد الله بن عمر وابى هريرة رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشئ والمرتشئ والرائش اه والرائش هو الذى يمشى بينهما .

الثانى ما يحرم على الآخذ دون الدافع وهو ما يدفعه الشخص لشخص يتفادى به ظلمه سواء كان الظلم فى الدين أم فى النفس أم فى المال أم فى العرض ولا سبيل له إلى ذلك الا بهنا روى عن الشعبي وجابر بن زيد قالا : لا بأس أن يصانع الرجل عن نفسه وماله اذا خاف الظلم .

الثالث ما يدفعه الشخص إلى شخص له عند ولى الامر جاه ومترلة ليعينه على قضاء حاجة له عنده يهجز عن قضائها عند ولى الامر بنفسه ، وقد اختلف الفقهاء فى حل هذا فذهب بعضهم إلى عدم حل اخذ هذا المال إلى صاحب الجاه ، وحل دفعه من صاحب الحاجة اذا كان مضطرا إلى هذا ، وليس له سبيل آخر للوصول إلى الحاجة غير هذا الطريق قال ابن خنيز منداد : من السحت أن ياكل الرجل يجاهه ، وذهب بعضهم إلى عدم حرمة ذلك على صاحب الجاه اذا كانت الحاجة التى يتوسط فيها مباحة اما اذا كانت الحاجة حراما فما يأخذه حرام .

نوع خصص بالذكر من أنواع الباطل لخطورته

ولما كانت حيل الدجالين والاصوص والغشاشين لاتقف عند حد ولا تقع تحت حصر ، وكان الباطل من الأمور المعروفة للناس ، مهما تعددت وجوهه واختلفت اثوابه أجمل في الآية ، ولم يبين منه الا نوع خطر قد أولع الناس به ، في زماننا هذا مع دخوله فيما تقدم ، وهو استحلال أموال الناس بحكم الحكام اذ ربما ظن الناس ان الحاكم اذا حكم بمال ، ولو بغير حق أحل ذلك أكله ، ولم يكن أكله باطلا ، فقال عز من قائل : وتدلوا بها الى الحكام .

والادلاء الالقاء وهو فى الأصل القاء الدلو ، وأختير هذا التعبير ، لأنه يشعر بعدم الروية ، أى ولا تلقوا بها الى الحكام رشوة لهم ، أو ولا تلقوا بالحكومة فى الاموال الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم . والفريق من الشئ الجملة والطائفة منه .

والاثم فسرهم بعضهم بشهادة الزور ، وبعضهم باليمين الفاجرة ، واحتج لهذا بسبب النزول ، وهو ما أخرجه ابن أبى حاتم من مراسيل سعيد بن جبير : ان عبد الله بن اشور الحضرمى ، وأمرأ القيس بن عابس اختصما فى ارض ، ولم تكن بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف أمرؤ القيس فهم بالحلف .

والمختار ان المراد بالاثم ما يوجب به وهو اعم من ذلك ، والمراد بالعلم فى قوله تعالى وانتم تعلمون ما يشمل الظن .

والتقييد بذلك يفيد : ان المحكوم له بالبطل يكون معذورا اذا لم يعلم ذلك ، وأكل معتقدا انه صاحب الحق لشبهة عرضت له .

وجملة القول ان الآية الكريمة نهت عن أخذ أموال الناس بغير مقابل ورضا منهم كيف ما كانت الوسيلة الى ذلك ، وبينت ان الاستعانة بالحكام على ذلك حرام بوجه خاص ابطلا لثوهم من يتوهم ان حكم الحاكم بشئ يحله للمحكوم له ، وان لم يكن له فى الواقع .

حكم الحاكم يرفع الخلاف ولا يحل حراما

ولهذا ولما رواه مالك ، وأحمد ، والشيخان ، وأصحاب السنن عن أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : انما أنا بشر وانكم تختصمون ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له بنحو ما أسمع

قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار (١) ذهب جمهور الفقهاء الى ان حكم الحاكم يرفع الخلاف ولا يحل حراما : منهم الائمة الثلاثة مالك واحمد والشافعي وصاحبيا أبي حنيفة ، ووافقهم أبي حنيفة في الحكم بالاموال وخالفهم في الحكم بنحو الطلاق ، وعقد النكاح أو فسخه فعنده ينفذ ظاهرا وباطنا وان كان الشهود زورا .

رقد نقل النووي في شرح مسلم ان الشافعي حكى الاجماع ، على ان حكم الحاكم لا يحل الحرام ، فهل يعتبر بالآية الكريمة والحديث الشريف الذين يستمر ثرون التقاضى والخصام ، والادلاء بقضاياهم الى الحكام ، اعتمادا على خلافة القول ولحن الخطاب ، لياكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وهم يعلمون ؟ وهل يتعظ به المحامون فلا يقبلوا الدفاع الا عن القضايا التي يقطعون أن الحق مع أصحابها ، ولا يصروا على محاولة كسبها اذا ظهر لهم بطلانها في اثناء التقاضى

وهل يتأدب المسلمون بآداب الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، ويهتلون بهديهما فيتحرروا الخلال من الكسب ، ويتركو ما يرييهم الى ما لا يرييهم ، فقد قال صلى

الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني عن ابن عباس : يا سعد بن ابى وقاص استطب مطعمك وشرابك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده ان العبد ليقتذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما ، وإيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار اولى به صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) روى ان الخصمين بكيا ، وقال كل واحد منهما : انا حل لصاحبي فقال عليه الصلاة والسلام : اذهبا فتوخيا أى اقصدا الحق - ثم امتهما أى اقترعا ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه أى لياخذ كل منكما ما تخرجه القرعة وقوله صلى الله عليه وسلم لحن يحججه أى اقدر على اقامة حجته من صاحبه .

الوحدة الإسلامية

الدعوة إلى الوحدة الإسلامية (١)

في القرآن الكريم والسنة المطهرة

جاء الاسلام والناس فرق : فوكت بينهم اللغات والأديان، والأنساب والالوان والشعوبية والقبلية ، والمذاهب والمشارب من الصفات المكتسبة وغير المكتسبة فكانت صبيحة الإصلاح المدوية التي أرتفع بها صوت الاسلام في ذلك هي النهي عن التفرق والتعادي ، والدعوة إلى الاجتماع على ملة التوحيد ، ودين الاسلام الذي يمكن ان يحقق للناس جميعا وحدة متجانسة العناصر ، ووحدة الميزل والاهداف قائمة على جامعة مشتركة ، قال تعالى : **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا - الآية ١٠٣ من سورة آل عمران - وقال تعالى : **وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ** وتذهب ربحكم واصبروا ان الله مع الصابرين الآية ٤٦ من سورة الأنفال .

ففي الاسلام علاج شاف من التفرق بحسب الاختلاف في الصفات الطبيعية وغير المكتسبة وهو اعتبار وحدة الشعور والدين ، والاكتفاء بذلك في وحدة الامة، وقد أخذ بذلك فقهاء القانون الدولي الآن في تحديد معنى الأمة بأنها جماعة من الناس تشعرون بشعور واحد وموالياً اختلقت عناصرهم وتباينت صفاتهم الأخرى : ففي الاسلام عن التفرق والتمازج لا اختلاف الأجناس والشعوب والقبائل والألسنة والألوان ، لأن الناس مهمما اختلقت أجناسهم وشعوبهم فكأنهم من أصل واحد ، وجعل معيار التفاضل والتفاوت في الكرامة عند الله تعالى التقوى والعمل الصالح

(١) لا تظن ايها القارئ الفاضل أن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية تنافي الدعوة إلى الوحدة العربية أو غيرها من وحدات شعوب الأمة الإسلامية كذا بل هي الوحدة الكبرى والوحدة الأم التي لا تتم إلا إذا انتظمت شعوبها جميعاً وهي متحدة فيما بينها بل ولا تتعارض مع الروابط الوطنية في البلاغ التي تتحدد فيها الأديان أو يرجع بها أقليات غير مسلمة ، وفي تاريخ المسلمين الطويل وواقع حياتهم الاجتماعية أوضح دليل على هذا ، وإلى طلب هذا التمازج الاجتماعي العلبي المتناغم المتوافق على قنوع وحداته تشير آية الحجرات الآتية : **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ، وتحفز إلى التقوى باعتبارها معيار التفاضل ووحدها لا غير .

(٢) على شدائد الحرب ، وليصبر مضكم على بعض عند مخالفته في رأيه فلا يؤذي ذلك إلى النزاع في شئون الحرب وهي حساسة يحذر النزاع فيها إلى الفشل والضعف والهزيمة

وقد وصف تعالى هذا الدواء فأشار الى وحدة الدين وما تستتبعه من وحدة الجما فقال جل ثناؤه من سورة الأنبياء بعد أن ذكر شيئاً من قصصهم يخاطب الناس قاطبة : ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأعبدون (الآية ٩٢) .

وبين تعالى في سورة المؤمنون انه خاطب جميع الرسل بذلك داعياً الى الاجتماع على ملة التوحيد التي تجمع الأمم وتوحيدها، فقال عز من قائل : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بماتعملون عليم (١) وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأتقون الآية ٥١-٥٢ وأشار تعالى الى أن اختلاف الشعوب والقبا ئل ، واختلاف الالوان واللغات لا يناقئ الوحدة ، ولا يقتضى التفرق والتعصب ، ولا التفاضل والتفاخر ، بل غايته أن يكون وسيلة للتعارف ، فقال عز من قائل : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم - الآية ١٣ من سورة الحجرات . وقال تعالى : ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، ان فى ذلك لآيات للعالمين - الآية ٢٢ من سورة الروم - وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فقال : أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لادم وادم من تراب ، أكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربى على أعجمى ولا لايض على أسود فضل الا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد - فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وقال صلى الله عليه وسلم - ان الله لا ينظر الى صوركم وأجسادكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم . فأثرت هذه الدعوة الصالحة الواضحة أطيب الثمرات ، وألفت من العربى والفارسى والحبشى والرومى وغيرهم أمة واحدة كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وكالبنيان المرصوص

(١) قرى لابی عمر و بفتح الهمزة وتشديد النون على تقدير حرف الجر اى ولأن هذه أمتكم والجار والمجرور متعلق باتقون وبها يقرأ معظم السردانيين ، وقرى بالكسر وتشديد النون على الاستئناف والعطف على انى بما تعملون عليم وهذه على القراءتين فى موضع نصب اسم أن وأمتكم خبرها كما قرى بفتح الهمزة وتخفيف النون على تقدير اللام أيضاً وأن هذه هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف وهذه مبتدأ وأمتكم خبره والجملة خبر أن والجار والمجرور متعلق باتقون أيضاً وأما أمة واحدة فهى على القراءات الثلاثة منصوبة على الحال من الخبر وواحدة صفتها والآيات تشير الى الوحدة الانسانية فضلاً عن الوحدة الاسلامية ، وأن الرسل تتابعوا على أمة واحدة كللى قومه منها واختلفت شرائعهم فى الفروع وفق ما يناسب تدرج العقل البشرى فى الكمال حتى اذا استعدت الانسانية الى الكمال الذى اراده الله تعالى ارسل خاتم الرسل بالشرعية الخاتمة الخالدة .

يشد بعضه بعضا ، وقد قام الامامان : جمال الدين الافغانى وتلميذه محمد عبده فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى يبيحان أسباب ضعف المسلمين ، ووسائل نهضتهم وقوتهم ، فاستبان لهما أنه كما كان من أقوى أسباب الانهيار والضعف التخاذل والفرقة (١) يكون جماع عوامل النهوض والقوة التناصر والوحدة ، ووازنا بين العصبية الجنسية والوحدة الاسلامية وبيننا أن ما يدفع الى العصبية الجنسية هو ضرورة الدفاع عن النفس ، والحرص على حمايتها من العدوان عليها ، وأوضحا كيف أن الوحدة الإسلامية تزيد تلك الضرورة ، وتكفل هذه الحماية ، قالا (٢) : فلو زالت الضرورة لهذا النوع من العصبية تبع هو الضرورة فى الزوال كما تبعها فى الحدوث بلا ريب ، وتبطل الضرورة بالاعتماد على حاكم تتصاغر لديه القوى وتتضائل لعظيمته القدر ، وتخضع لسلطته النفوس بالطبع ، وتكون بالنسبة اليه متساوية الاقدام وهو مبدئ الكل ، وقهار السموات والأرض ثم يكون القائم من قبله بتنفيذ أحكامه مساهما للكافة فى الاستكانة والرضوخ لأحكام أحكم الحاكمين ، فاذا أذعنت الأنفس بوجود الحاكم الأعلى وأيقنت بمشاركة القيم على أحكامه لعامتهم فى النظام لما أمر به اطمانت فى حفظ الحق ، ودفع الشر الى صاحب هذه السلطة المقدسة ، واستغنت عن عصبية الجنس لعدم الحاجة اليها ، فيمضى أثرها من النفوس والحكم لله العلى الكبير .

وتابعا الحديث قائلين : —

هذا هو السر فى اعراض المسلمين على اختلاف اقطارهم عن اعتبار الجنسيات ورفضهم أى نوع من أنواع العصبيات ماعدا عصبيتهم الاسلامية ، فان المتدين بالدين الاسلامى متى رسخ فيه اعتقاده يلهو عن جنسه وشعبه ، ويلتفت عن الرابطة الخاصة الى العلاقة العامة وهى علاقة المعتقد .

(١) بينا فى صفحة (٢١٠) من العروة الوثقى الطبعة التى تصدرها مجلّة مشرق الإسلام تحت عنوان : واعتصموا بحبل الله — الآية مبدأ هذا الانحلال والضعف فقالا : بدأ هذا الانحلال والضعف فى روابط الملة الإسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وتماقنت الخلفاء العباسيون (أى بعض من قبلهم من الأمويين) باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه فى الدين والاجتهاد فى أصوله وفروعه ، كما كان الراشدون رضى الله عنهم .

(٢) صفحة (٨٣) من العروة الوثقى نفس الطبعة . تحت عنوان (الجنسية والديانة الإسلامية) .

لان الدين الاسلامي لم تكن أصوله قاصرة على دعوة الخلق الى الحق وملاحظة أسس والنفوس من جهة كونها روحانية مطلوبة من هذا العالم الأدنى الى عالم أعلى بل كما كانت كافلة لهذا جاءت وافية بوضع حدود المعاملات بين العباد ، وبيان الحقوق كلياتها وجزئياتها وتحديد المسألة الوازنة التي تقوم بتنفيذ المشروعات ، وإقامة الحدود وتعيين شروطها حتى لا يكون التفاضل على زمامها الا من أشد الناس خضوعا لها ، ولن ينالنا بوراثة ولا امتياز في جنس أو قبيلة أو قرّة بدنية وثروة مالية وإنما ينالها بالوقوف عند أحكام الشريعة ، والتندرة على تنفيذها ، ورضاء الأمة . فيكون وازع المسلمين في الحقيقة شريعتهم المتدسة الاولية التي لا تميز بين جنس وجنس ، واجتماع آراء الأمة ، وليس للوازع أدنى امتياز عندهم الا بكونه أحرصهم على حفظ الشريعة والدفع عنها .

وكل فخر تكسبه الأنساب ، وكل امتياز تفيده الأحساب لم يجعل له الشارع أثرا في وقاية الحقوق ، وحماية الأرواح والأموال والأعراض بل كل رابطة سوى رابطة الشريعة الحقة فهي محقونة على لسان الشارع ، والمعتقد عليها مذموم ، والمتصحب لها ملوم فقد قال صلى الله عليه وسلم : ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية . والأحاديث النبوية والآيات المتصلة متضافرة على هذا ، ولكن يمتاز بالكرامة والاحترام من يفوق الكافة في التقوى (اتاع الشريعة) ان أكرمكم عند الله أتقاكم . اهـ

ولم يقف الاسلام بالدعوة الى وحدة المسلمين عند عدم اعتبار الاختلاف في الصفات الطبيعية ، والا يقيسوا أى وزن للاختلاف في الصفات غير المكتسبة بل رعى من طريق مباشر وغير مباشر الى توثيق وحدة المسلمين بأكثر من هذا ، ومشى خطوات أوسع في ذلك لعلهم يعيشونها ، فدعا الى العدل على ازالة ما يمكن ازالته من هذه الفروق : أمر بتعلم اللغة العربية ، وجعلها لغة الدين ، والتشريع والحكم ، فقال صلى الله عليه وسلم : تعلموا العربية وعلموها الناس فأنها لسان أهل الجنة ، وقال : ان الله لا يسمع دعاء ملحنونا وقال : أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن .

وبناء على هذا قال الامام الشافعي رضى الله عنه في رسالته في أصول الفقه : فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ، حتى يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله تعالى ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسييح والتشهد وغير ذلك .

وما ازداد من العلم باللسان الذى جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر
كتبه كان خيراً له ، كما عليه أن يتعلم الصلاة والذكر فيها.

وهذا الذى ذهب اليه الشافعى اجماع لاخلاف فيه ، غير أنه روى عن الامام أبى
حنيفة رضى الله عنه قول شاذ يجاوز بعض أذكار الصلاة والتلاوة فيها بغير العربية لمن تعذر
عليه تعلم ما يجب منها، وقد صح عنه أنه رجع عن هذا القول المقيّد بالضرورة الشخصية.

وتكرر فى القرآن الكريم بيان كونه كتاباً عربياً وحكماً عربياً، وتكرر الامر بتفسيره
والفقه فيه والالتناظ به والتأدب بأدابه، وهذا مما يجعل المسلمين ينساقون بمقتضى الايمان
والعقيدة الى معرفة لغة كتاب الله تعالى ، وستة رسوله صلى الله عليه وسلم لتفهمهما والتعبّد
بهما. وكذلك الشأن فى الفترحات الاسلامية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه
الراشدين ، وعهد بنى أمية والعباسيين : يبلغ المسلمون الدعوة لكل قوم بلغتهم ، حتى اذا
ما هدى الله من شاء منهم ودخل فى الاسلام علموه لغته ، وأحكامه فيقبل الداخلون على
تعليم اللغة العربية ، لأنها لغة الدين الذى ارتضوا ، وبهذا أستعرب المصريون فى مصر ،
والشاميون فى سوريا وفلسطين والأردن ، وسلالة البابليين والاشوريين والكلدانيين فى
العراق وغيرهم.

ولم يضحف انتشار اللغة العربية الا بعد أن وقفت الدعوة الى الاسلام ، ولو سار انتشار
اللغة بالقوة الأولى التى سار بها على أيدي المسلمين الأوائل لاستعرب كل من دخل فى
لاسلام من الامم. وقد أشار صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآتى الذى أبطل به مكرو
قيس بن مطاطية حين أراد أن يكيّد لوحدة المسلمين ، ويفرق شملهم الى ما لا تكلم باللغة
العربية من أثر عظيم فى الاتحاد الكامل والانسجام التام بين أفراد الامة الواحدة.

روى الحافظ ابن عساكر بسنده الى مالك رضى الله عنه عن الزهرى عن أبى سلمة
ابن عبد الرحمن قال : جاء قيس بن مطاطية الى حلقة فيها سلمان الفارسى وصهيب
بالرومى وبلال الحبشى رضى الله عنهم ، فقال : " هذا الاوس والخزرج قد قاموا

انصهرة هذا الرجل فما بال هذا؟ يريد هذا المتأفق أن الاوس والخزرج من العرب قوم
محمد صلى الله عليه وسلم ، فاذا نصره فلا نة منهم ، فما الذى يدعو الفارسى والرومى
والحبشى الى نصرته؟ فقام اليه معاذ بن جبل رضى الله عنه فأخذ بتلاييه ثم أتى النبى صلى

الله عليه وسلم به فأخبره بمقاتلته، فقام النبي صلى الله عليه وسلم مغضبا يجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودى : الصلاة جامعة، وقال صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ان الرب واحد، والأب واحد، وان الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وانما هي المسان، فمن تكلم بالعربية فهو عريب، فقام معاذ فقال : فما تأمرني بهذا المنافق يا رسول الله : قال : دعه الى النار، فكان قيس ممن ارتد في الردة فقتل.

والدعوة اليوم الى أن يعتبر بهذا أخوتنا المسلمون من غير العرب فيقبلوا على الالتزام بتعلم اللغة البرية، واعطائها من العناية فوق ما يعطون اللغات الغربية، فيجعلوها اللغة الثانية ويمحووا الجهل بها حتى لا يجهلها أحد منهم، وأن يستعربوا ما أمكن فهذا أجدر بهم كمسلمين وأعظم تيسيرا لفهم القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأعون على معرفة الواجبات الدينية وتحصيل الثغافة الاسلامية، وأشد توثيقا لروابط الوحدة الاسلامية.

أيها المسلمون لستم على شيء حتى تقيموا كتاب الله، وما أنزل اليكم من ربكم على لسان رسوله : اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تدكرون. قال الامامان (١) : جمال الدين ومحمد عبده بعد بحث طويل فيما أصاب الامة من التأخر والضعف والدلة والهوان ايضا تحت عنوان : سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا يبحثان الداء ويتناولان مختلف أنواع الادوية : ومنها الجرائد والعلوم والثقافة الغربية بالتحليل والنقد ليصفيا الدواء الناجع :

لا أطيل عليك بحثا ولا أذهب بك في مجالات بعيدة من البيان ولكني أستلفت نظرك الى سبب يجمع الأسباب ووسيلة تحيط بالوسائل . أرسل فكرك الى نشأة الامة التي خملت بعد النباهة ، وضعفت بعد القوة ، وأسترققت بعد السيادة وضيقت بعد المنعة وقطاب أسباب نهوضها الأول حتى تتبين مضارب الخلل وجرائم العلل، فقد يكون ما جمع كلمتها وأنهض همم آحادها

(١) صفحة ١٣٤ من العروة الوثقى نفس الطبعة ، ولا أطيل دون لا نطيل لأن الكلام بلسان الشيخ عبده المحرر

ولحم ما بين أفرادها وصعد بها الى مكانة تشرف منها على رعوس الأمم وتسوسهم وهى فى مقامها بدقيق حكمتها انما هو دين قويم الاصول محكم القواعد شامل لانواع الحكم باعث على الألفة داع الى المحبة مركز للنفوس مطهر للقلوب من أدران الحساس منور للعقول باسراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل ما يحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها : ويتأدى بمعتقديه الى جميع فروع المدنية.

فان كانت هذه شرعتها ، ولها وردت وعنها صدرت فما تراه من عارض خللها وهبوطها عن مكانتها انما يكون من طرح تلك الأصول ونبذها ظهريا ، وحدث بدع ليست منها فى شئ أقامها المتقنون مقام الاصول الثابتة ، وأعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما أتى لأجله ، وما أعدته الحكمة الألهية له حتى لم يبق منه الا اسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجبا بين الأمة وبين الحق الذى تشعر بنداثة أحيانا بين جوانحها.

فعلاجها الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها ، والأخذ بأحكامه على ما كان فى بدايته ، وارشاد العامة بما اعظه الالهية بتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق ، وإيقاد نيران الغيرة ، وجمع الكلمة ، وبيع الأرواح لشرف الأمة ، ولأن جرثومة الدين متأصلة فى النفوس بالوراثة من احقاب طويلة ، والقلوب مطمئنة اليه ، وفى زواياها نور خفى من محبته فلا يحتاج القائم باحياء الأمة الا الى نفحة واحدة يسرى نفسها فى جميع الارواح لأقرب وقت ، فاذا قاموا لشئونهم ووضعوا أقدامهم على طريق نجاحهم ، وجعلوا أصول دينهم الحققة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد أن يبلغوا بسيرهم منتهى انكمال الإنسانى.

ومن طلب اصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططا ، وجعل النهاية بداية ، وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد ، ولا يزيد الأمة الانحسا ، ولا يكسبها الا تعسا هـ .

والله الموفق الى جماع الخير والهادى الى سواء السبيل.

« محمد المبارك نبي الله »

—: أنتهت الرسالة :—

« وكان الفراغ من أعدادها للطبع فى مدينة ام درمان حرسها الله أبام مولده

الشرىف عام ١٤٠١ من هجرته المجيدة »

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

كتب مطبوعة للمؤلف

- ١ - مقدمة التفسير
- ٢ - تفسير جزء عم
- ٣ - الناقد الحديث
- ٤ - اركان الاسلام
- ٥ - اركان البناء الاسلامي
- أ - كتاب الايمان
- ب - كتاب الصلاة
- ج - كتاب الزكاة
- د - كتاب الصوم
- هـ - كتاب الحج
- و - برنامج الحاج والمعتمر
- ٦ - دراسات في تاريخ الفكر الاسلامي
(من تاريخ المذاهب والفرق الاسلامية)
- ٧ - المنطق في شكله العربي
- أ - في التصور
- ب - في التصديق
- ٨ - الاصول الاشتراكية في الاسلام
- ٩ - مع التعليم الديني في السودان
- أ - الجزء الاول
- ب - الجزء الثاني
- ج - الجزء الثالث

- ١٠ - رسالة في الخمر والميسر والسباق
- ١١ - عن الخمر والميسر والسباق والوحدة الاسلامية
- أ - الخمر
- ب - الميسر
- ج - السباق
- د - الوحدة الاسلامية
- ١٢ - في التصوف
- ١٣ - الشباب والتربية الاسلامية
- ١٤ - أسماء الله الحسنى
- ١٥ - مع الرسول في طريق البلاغ
- أ - العقائد الاسلامية من القرآن الكريم
- ب - من السيرة النبوية الشريفة
- ١٦ - الاسلام والاصلاح الاجتماعي

كتب معدة للطبع

- ١ - رسالة في الجبر والاختبار
- ٢ - رسالة في آداب البحث والمناظرة

أهم المراجع

القرآن الكريم

كتب التفسير

السنة المطهرة

صحيح كتب السنة والسيرة

بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد

الفقه على المذاهب الأربعة

أحكام القرآن للجصاص

الفتح الكبير للنبهاني في ضم الزيادة الى الجامع الصغير للسيوطي

الخمر بين الطب والفقه للدكتور محمد علي الباز

الوحي المحمدي للسيد رشيد رضا

اصول الفقه وتاريخ التشريع للشيخ عبدالوهاب خلاف وغيره

اللسان

القاموس

المصباح المنير

❦ تصويب لما قد يخفى من الأخطاء المطبعية ❦

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
صحيحهما	صحيحهما	٣	٧
قد كفا	قد كنا	١٢	١٦
ينهن	ينهنهن	٢٦	٤
أو السكر	ام السكر	٣٤	٢ هامش
شرافة	حراسة	٣٦	٢٠
إلى القرا	إلى الفقراء	٥٩	٢
لا بتوفيقه	إلا بتوفيقه	٦٢	١٢
فأعبدون	فأعبدون	٧٨	٣
فأتقون	فأتقون	٧٨	٧
اللهم أشهد	اللهم أشهد	٧٨	١٥
أصول	أصول	٨٠	٢٤

مكتبة المصطفى

طبع بالمطبعة الحكومية